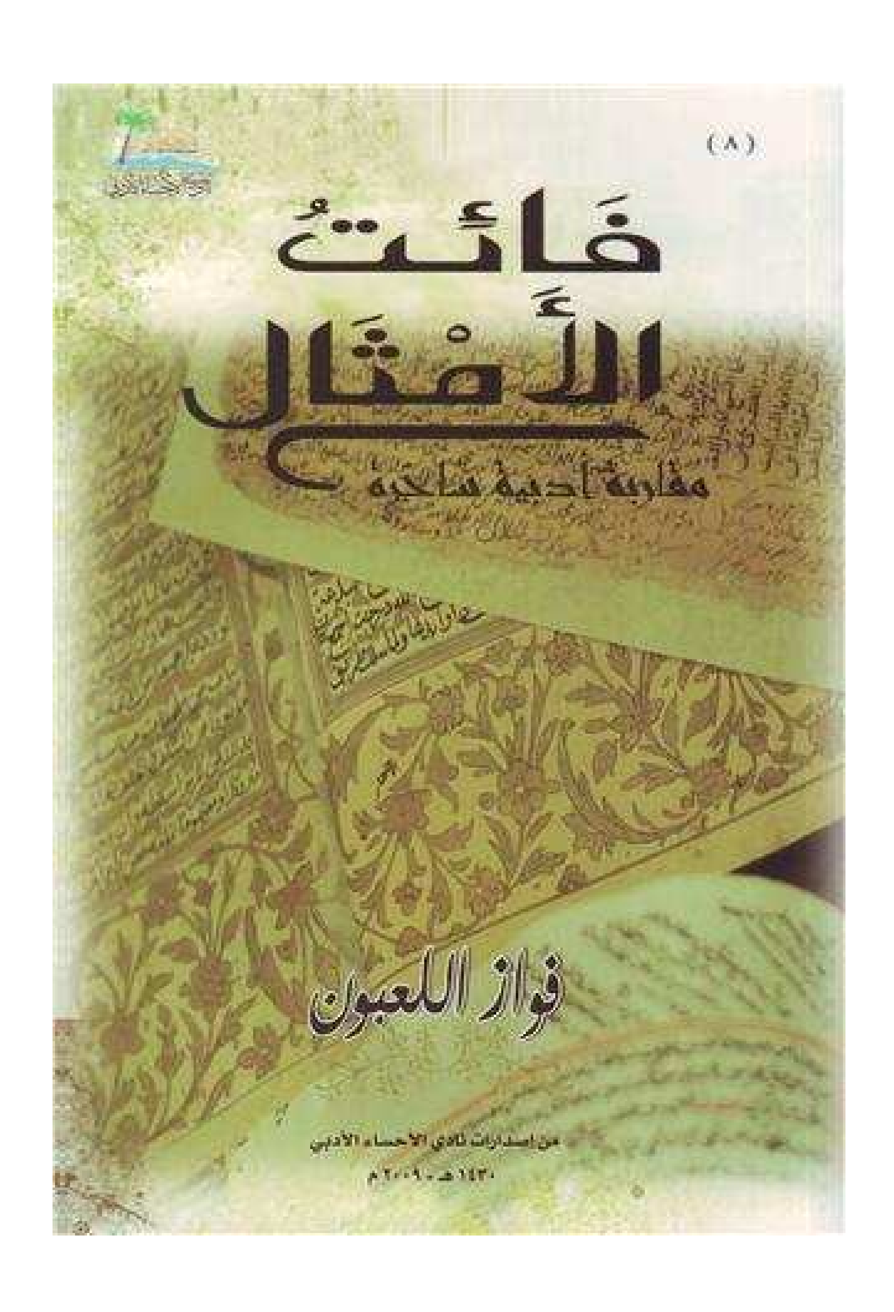


(٨)
فَائِتُ الأَمْثَال
مقاربة أدبية ساخرة
فواز اللعبون
من إصدارات نادي الأحساء الأدبي
١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

فائت الأمثال :

مقاربة أدبية ساخرة

فواز اللعبون

من إصدارات نادي الأحساء الأدبي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ح نادي الأحساء الأدبي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللعبون، فواز

فائت الأمثال: مقاربة أدبية ساخرة. / فواز اللعبون. –

الأحساء ١٤٣٠هـ

١٤٤ ص ، ١٤❖ ٢١ .

ردمك: ٥- ٠- ٩٠١٠٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الأمثال العربية أ. العنوان

ديوي: ٨١٨,٠٣ ١٤٣٠/٥١٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٥١٧٦

ردمك: ٥- ٠- ٩٠١٠٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

الغلافان :

تصميم : أ. منى المديهش

عدسة : أ. عمر الرحيـلي

نادي الأحساء الأدبي

ص. ب : ٤٨٩ – الأحساء : ٣١٩٨٢

الهاتف: ٥٨٢٤٨٢٩ – ٠٣ / ٥٨٦٥٠١٧ – ٠٣

الفاكس: ٥٨٦٤٧٦٢ – ٠٣

البريد الإلكتروني: adabiahsa@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

ما أكثر المستحقين، وما أهون المهدَى..

والدايَ أكبر منه، وزوجتي أجلّ،

والآخرون لا يرضيهم البخس..

ليس غير صغيريّ يستران هذا التطفيف:

«عبدالعزيز و مهند»

على الضفاف

منذ ستة عشر قرناً والعرب يحترفون الكلمة، ويصوغون من جمالياتها فنونا، ومن فنونهم تلك أمثالهم الفائقة الدالة على مقدرتهم في التكثيف الدلالي، والاختزال اللفظي، ولذا حرص أوائل الأدباء والمهتمين على جمع بعض شتاتها، فأثبتوها في مصنفات خاصة، وقرنوها بالشروح، وأردفوا ما أمكن منها بخبره وقصته.

ولي في هذا المجموع المحدود مقاربة مختلَفة تقتفي الشكل السالف، وتحاذي مضمونه التوجيهي، بلغة أكثر وضوحا، وصياغات إخالها سَلِسة، وتضيف إليه مسحة فكاهة وسخرية، ولا أنكر أن هذه المسحة هي الركيزة التي عَلَّقْت عليها سائر الأهداف، وجَعَلْت منها الطُّعْم الذي يغري المتلقي باقتفائه.

والأمثال في مجموعها مستخلصة من مناحي حياتنا المعاصرة التي وجدت فيها ما هو جدير بالالتفات، وأنوه إلى أن هذه الأمثال ليست إلا مجرد انعكاس عن الواقع العام بحسنه وسيئه، ولا تعني في جملتها أنها انعكاس عن واقع خاص قريب، عدا المثل الأخير الذي مزجت فيه بين واقعين، ثم أودعت فيه

إيضاحاً واعتذاراً لمن قـد يلمـس في بعـض الأمثـال انتقـاداً لفئـات، أو تزكيـة لأخرى.

وفي مجموعي هذا ثلاثون مثلاً تضمنت ثلاثين قصيدة بأبيات عدتها ثلاثمئة وخمسة وستون بيتا، وقد تفاوتت الأمثال طولاً وقصراً حسب سـعة أخبارهـا، على أن معظمها متقارب نسبيّا، ورتَّبتها ترتيباً هجائيّاً آليّاً حسب بداية كل مثل، بغض النظر عن جذر أوله وزياداته.

وقد انتهجت منهجاً موحداً جرت عليه جملة من الأمثال القديمة؛ فابتدأت بنص المثل، ثم أوردت السياق الذي يُضرب فيه، مـع شرح مـا يحتـاج إلى شرح من مفرداته، يلي ذلك أصل المثل المتضمِّن قصته المفتعلة، وختمته بأبيات شعرية يشتمل أحدها على المثل الوارد، وعلى هذا فالغالب أن أبطـال الأمثـال شـعراء انتقاديون مثاليون، وهذا من الإمعان في الخيال والتجنيح.

ولما كانت مقـاربتي انعكاسـاً عـن الـتراث في شـكله، وعـن المعـاصرة في مضمونها، آثرت أن أجمع بين أبرز خصائصهما الأدبية في الكتابة؛ فجئـت بـالمتن مسجوعا، وضبطته بالشكل ضبطاً تامّاً إلا في مواضع الوقف، ثم سـقت ذلـك

كله في مضمار سهل ممهد، فلم أوغل في تعقيد لغوي ولا بيـاني، ولم أعتمـد مـن الألفاظ والصياغات إلا ما خلته قريباً من متوسطي الثقافة والاطلاع.

وآمل أن تؤدي محاولتي هذه أهدافها التي جعلتها نصب عينيّ قبـل البـدء وأثناءه، وعلى رأس أهدافي تلك تقريب متميزي الناشئة، وغير المتخصـصين في حقول الأدب إلى جميل التراث، وصالح المعاصرة، بطريقة حكائية محببـة تغـري بسخريتها ولذعها، إضافة إلى نقد بعض المظـاهر الخاطئـة التـي تعـم المجتمـع العربي على وجه الخصوص.

ومن الإنصاف أن أشكر من وقف معي مقترِحاً ومراجِعـاً ومـشجِّعا، فلهـم مني وافر الامتنان، وصادق العرفان، وأخص زمـيلي الكـريم الـدكتور: بـدر بـن محمد الراشد الذي انتشل هذا العمل من أخطاء الطباعة، وهنات اللغـة، وأشـكر أيضاً الزميلة الفاضلة والقاصة المبدعة الأستاذة: منى بنت إبراهيم المديهش التـي أسبغت على الأمثال سربالين من حس وحدس، فصممت الغلافين وقد أشربتهما الفكرة ظاهراً وباطنا، ولو امتد بي نشاط قادم لأفردتهما وغيرهما بمثل يكشف عن نُبلهم، ويُعَرِّي قصوري معهم، كما لن تفوتني الإشادة الطُّـوْلَى بـصاحب البـذرة

الأُوْلَى الذي أفدت منه ما لا أحصي منافعه في هذه الأمثال وغيرها، وهـو فـارس المقامات أبو محمد القاسم بن علي الحريري (تـ: ٥١٦هـ- ١١٢٢م) عليـه مـن الله شآبيب الرضوان والرحمة.

بقي أن أقدم اعتذاري إلى من قد يستشعر في بعض الأمثال غمـزاً أو إسـاءة، وأؤكد له ولغيره أنني محسوب -بشكل أو آخـر- عـلى معظـم الـنماذج الـواردة، وأنني في أحيان أخرى قد أتمثل نفسي الشخصية المنقودة، فأصوغ المثل وخبره على هذا الأساس، بعد أن أضفي عليه جوانب من التهويل والمبالغة.

هذا، وأحمد الله سبحانه، وأصـلي وأسـلم عـلى نبينـا محمـد صـلى الله عليـه وسلم، وعلى آله وصحبه.

فواز بن عبدالعزيز اللعبون

الرياض

alrsad@hotmail.com

١ – «أَبْشَعُ مِنْ وُصُوْلِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ كَثُرَ نِفَاقُه، وانْحَطَّتْ في التَّمَلُّقِ أَخْلاقُه، ولَـهُ في الـمُـمَاذَقَةِ أُسْلُوْب، ومَاءُ وَجْهِهِ مَسْكُوْب، والوُصُـوْلِيُّ قِـرْدٌ في هَيْئَـةِ إنْسَان، يَتَسَلَّقُ إلى مَصَالِـحِهِ بِاللِّسَان، وهوَ أَيْضاً عَدِيْمُ الكَرَامَة، تَأْنَفُ مِنْ قَذَارَتِهِ القُمَامَة، يَبِيْعُ أُمَّهُ وأَبَـاه، لِيَـصِلَ إلى مَـسْعَاه، تَـــرَاهُ مُلْتَـصِقاً بِالكُبَرَاء، وهُمْ يُعَامِلُوْنَهُ كَالـحِذَاء، وقَدْ يُصَاحِبُ عَامَّةَ النَّاس، ويَرْفَعُ ذَنَبـاً يَظُنُّهُ الرَّاس، لا مَبْدَأَ يَـحْكُمُ تَـصَرُّفَاتِه، ولا يَــرَى إلاّ تَــحْقِيْقَ ذَاتِه.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ مُوَظَّفاً عَظِيْمَ الـــهِمَّة، يُـؤَدِّي عَمَلَـهُ بِـإِخْلاصٍ وذِمَّة، وكَانَ لَهُ زَمِيْلٌ كَثِيْرُ الإهْمَال، عَلَيْهِ مِنَ الدَّنَاءةِ سِرْبَال، لَـمْ يَـرَ أُمَّهُ مُنْذُ سِنِيْن، وأَبُوْهُ في دَارِ المُسِنِّيْن، وإذا رَأَى رَئِيْسَهُ قَبَّلَ يَدَيْه، وكَادَ يَلْعَقُ بَاطِنَ رِجْلَيْه، ويُسْمِعُهُ كَلِمَاتِ التَّبْجِيْلِ والتَّعْظِيْم، ويَشْتُمُ أَمَامَهُ

الرَّئِيْسَ القَدِيْم، وإذا مَرِضَ ابْنُ الرَّئِيس، قَفَزَ بِهِ إلى (ابْنِ النَّفِـيْس)، وإنْ فَرَغَتْ أُنْبُوْبَةُ غَازِه، حَمَلَها لَهُ عَلَى أَعْجَازِه، ومَتَى انْتَــهَتْ مُـدَّةُ الرِّئاسَة، سَحَبَ عَلَيْهِ ذَيْلَ الـخَسَاسَة، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الرَّئِيْسَ الـجَدِيْد، بِكُلِّ حَفَاوَةٍ وتَــمْجِيْد، ومَـضَى عَـلَى عَادَتِـهِ المُخَادِعَـة، فحَقَّـقَ لَـهُ رُؤسَاؤهُ مَطَامِعَه، وهوَ مَعَ ذَلِكَ وَاشٍ نَمَّام، ومَاهِرٌ في حَبْكِ الكَلام، سَبَقَ أَنْ وَشَى بِزَمِيْلِهِ الشَّرِيْف، فنُقِلَ مِنْ فَوْرِهِ إلى الأَرْشِـيْف، وفَـازَ هُوَ بِعُلُوِّ الرَّاتِبِ والمَرْتَـبَة، وحَظِيَ بِالانْتِدَابَاتِ ولَـمْ يَبْرَحْ مَكْتَـبَه.

فلَـمَّا رَأَى المُوَظَّفُ ضَيْعَةَ حَالِه، وكَيْفَ ظَفِرَ الوُصُوْلِيُّ بِآمَالِه، قَـرَّرَ أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الإبَاء، وأَنْ يُنَازِعَ الوُصُوْلِيَّ الإنَاء، فطَرَحَ عَنْ كِبْرِيَائه الـخَجَل، واسْتَأْذَنَ عَلَى رَئِيْسِهِ ودَخَل، فحَبَكَ لَهُ مِنَ التَّمْجِيْدِ عَبَاءات، وقَالَ فِيْهِ مِنَ الشِّعْرِ مُعَلَّقَات، ثُمَّ مَسَحَ حِذاءَهُ ولَـمَّعَه، وسَارَ إلى البَيْتِ مَعَه، فنَفَضَ عَنِ العَتَـبَاتِ الغُبَار، وانْحَنَى وامْتَطَاهُ الصِّغَار، فمَا مَـرَّ أَكْثَرُ مِـنْ أُسْبُوْع، إلاّ وأَمْرُهُ مُطَاعٌ مَسْمُوْع، ونَـهَضَتْ بِهِ رِجْلُهُ العَاثِرَة، وأَصْبَحَ مُدِيْراً في الدَّائرَة،

فاسْتَدْعَى الوُصُوْلِيَّ وشَكَرَه، وأَعْطَاهُ مِنْ بُسْتَانِهِ ثَمَرَة، ثُمَّ نَادَى بِصَوْتٍ سَمِيْك، وأَمَرَ الوُصُوْلِيَّ بِالتَّدْلِيْك، وظَلَّ وَرَاءهُ يُدَلِّكُهُ بِرِفْق، ويَدْعُو لَهُ بِسَعَةِ الرِّزْق، وأَثْنَاءَ اسْتِرْخَائِهِ اعْتَدَلَ واسْتَدَار، وأَنْشَدَ وهوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ الدَّوَّار:

أَلاَ لِلَّـــهِ دَرِّي مِـــنْ نَبِيْـــهٍ	تَغَـانَمَ عُمْـرَهُ قَبْـلَ انْقِـضَاءِ
ظَفِرْتُ مِـنَ التَّمَلُّـقِ بِالأَمَـانِي	فَتَـــبّاً لِلْكَرَامَـــةِ وَالإِبَـــاءِ
وَكُنْتُ أَرَى الشُّمُوْخَ رِدَاءَ عِـزٍّ	فَعَـرَّى كُـلَّ سَـوْءاتِي رِدَائِـي
لَيَـالِيَ كُنْـتُ مُـحْتَقَراً ضَـئِيْلاً	وَفِي الأَرْشِيْفِ مُطَّرَحـاً وَنَـائِي
أُغَـالِطُ وَهْـمَ عِـزَّتِيَ ادِّعَـاءً	فَـمَاذا زَادَنِي وَهْـمُ ادِّعَـائِي؟!
فَمَنْ يَصِفُ التَّمَلُّقَ بِانْحِطَاطٍ	وَهَـا أَنَـذَا أُحَلِّـقُ فِي الـسَّمَاءِ؟!
وَخَلْفِي سَـافِلٌ أَحْـرَزْتُ مِنْـهُ	فُنُوْنَ المَـذْقِ وَالقَـوْلِ الـهُرَاءِ
فَنِلْتُ بِهِ الـذي لَـمْ يَـسْتَطِعْهُ	فَيَـا لِلَّـهِ مَـا أَقْـوَى دَهَـائِي
أُبَادِئُهُ الـسِّبَابَ وَلَـيْسَ يُبْـدِي	لِوَقْـــعِ بَـــذَاءَتِي أَيَّ اسْـــتِيَاءِ

وَلَـوْ أَعْمَلْـتُ كَفِّـي فِي قَفَـاهُ لَبَـــادَرَنِي بِـــأَنْوَاعِ الـــدُّعَاءِ
فَأَسْـأَلُكُمْ بِـرَبِّي هَـلْ رَأَيْـتُمْ كَأَبْشَعَ مِـنْ وُصُـوْلِيٍّ وَرَائـي؟

٢ – «أَبْطَأُ مِنْ قَاض»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنِ انْتَـهَجَ التَّسْوِيْف، وتَقَاعَسَ عَنْ حَمْـلِ الثَّقِيْـلِ والـخَفِيْف، وأَجَّلَ أَعْمَالَ النَّاسِ وأَعْمَالَـه، وشَـكَا مَـنْ حَوْلَـهُ إهْمَالَـه، والقُضَاةُ رِجَال أُنِيْطَ بِـهِمُ العَدْل، وانْتُظِرَ مِنْهُمُ الـخَيْرُ والفَضْل، وقَـدْ يُبْتَـلَى بِـبَعْضِهِمُ القَضَاء، فيُشَوِّهُوْنَ وَجْهَهُ الوَضَّـاء، ولِـذا قَـالَ عَـنْهُمُ المُصْطَفَى المُخْتَار:، قَاضٍ في الـجَنَّةِ وقَاضِـيَانِ في النَّـار، وهُـمْ عُـصْبَةٌ قَلِيْلَةُ الإحْسَاس، لا تُرَاعِي مَصَالِحَ النَّـاس، يَبْـدُوْنَ بِوُجُـوْهٍ كَالِــحَة، ولِسِيْرَتِـهِمْ أَنْتَنُ رَائحَة، يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ التَّكَبُّرُ والصَّلَف، ولَوْ وَزَنْتَــهُمْ لَـمْ يَزِنُوا الـخَزَف.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَابّاً رَاجَـعَ المَحْكَمَـة، لِيَرْفَـعَ فِيْهـا عَـلَى خَـصْمِهِ مَظْلَمَة، وكَانَ خَصْمُهُ قَدْ نَـهَبَهُ مَالَه، وحِيْنَ وَاجَهَهُ أَنْكَرَ مَـا لَـه، ومَـعَ الفَـتَى أَوْرَاقٌ تُثْبِتُ ما ادَّعَاه، وشُهُوْدٌ يُؤَكِّدُوْنَ صِدْقَ دَعْـوَاه، فأُحِيْـلَ

إلى قَاضٍ بَادِي البِطْنَة، مُقَطِّبِ الـجَبِيْنِ قَلِيْلِ الفِطْنَة، فلَـمَّا مَثَـلَ أَمَامَـه، وأَهْدَاهُ سَـلامَه، رَمَقَـهُ القَـاضي بِعَـيْنِ المُـسْتَرِيْب، كَـمَا يَرْمُـقُ فَرِيْـسَتَهُ الذِّيْب، ثُمَّ مَضَى يُـخْبِرُهُ عَنِ القَضِيَّة، وعَمَّا لاقَاهُ مِـنْ أَذِيَّـة، وقَـدَّمَ لَـهُ الأَوْرَاقَ والشُّهُوْد، ثُمَّ قَاطَعَهُ القَاضِي بَعْـدَ هُجُـوْد، وقَـالَ: كُـفَّ عَـنِ الكَلام، وأَحْضِرْ خَصْمَكَ بَعْدَ عَام، فحِيْنَ اسْتَكْثَرَ الفَـتَى المُدَّة، طَـرَدَهُ القَاضِي شَرَّ طِرْدَة، بَعْـدَ أَنْ نَكَّـلَ بِـهِ كُـلَّ تَنْكِيْـل، وضَـاعَفَ لَـهُ مُـدَّةَ التَّأْجِيْل، ثُمَّ أَقْبَلَ الفَـتَى فِي المَوْعِدِ المَضْرُوْب، ولَـمْ يَـسْتَطِعْ إِحْـضَارَ خَصْمِهِ المَطْلُـوْب، فأَمْهَلَـهُ القَـاضي عَـامَيْنِ آخَـرَيْن، فـشَكَرَهُ ودَمْعُـهُ يُسَابِقُ العَيْن، فصَاحَ القَاضِي: أَتَسْخَرُ بِي يَا غُلام؟، مَوْعِـدُكَ إِذَنْ بَعْـدَ ثَلاثَةِ أَعْوَام.

ومَـرَّتْ تِـسْعَةُ أَعْـوَامٍ وهـوَ يُرَاجِـع، ويَكْـتُمُ فِي أَحْـشَائِهِ الأَسَـى والمَوَاجِع، فلا هُوَ اسْتَطَاعَ إِحْضَارَ خَصْمِه، ولا القَاضِي هَـمَّ بِإِصْـدَارِ حُكْمِه، وفِي العَامِ العَاشِرِ مِنَ المُرَاجَعَات، اسْتَأْجَرَ الرَّجُـلُ مَــجْمُوْعَةَ

فُتُوَّات، واقْتَادَ خَصْمَهُ إلى القَاضي، ونَسِيَ كَرْبَ سِنِيْهِ الَمَوَاضي، ودَخَلَ مَـجْلِسَهُ الذي يَعْرِفُه، فوَجَدَ قَاضِياً آخَرَ يَـخْلِفُه، فسَأَلَهُ عَنْ قَاضِـيْهِ في انْدِهَاش، فأَخْبَـرَهُ أَنَّهُ أُحِيْلَ إلى المَعَاش، وحِيْنَئِذٍ بَادَرَ الـخَصْمُ اللَّئـيْم، يَشْكُو لِلْقَاضي عُنْفَ الغَرِيْم، وأَنَّهُ قَادَهُ إلَيْهِ بِالقُوَّة، ولَـمْ يَسْلُكِ الطُّرُقَ المَرْجُوَّة، فمَا لَبِثَ القَاضي الـجَدِيْد، أَنْ كَبَّلَ الغَـرِيْمَ بِالــحَدِيْد، وأَمَـرَ الـحُجَّابَ بِحَبْسِهِ وجَلْدِه، حَتَّى يَشْكُوَ السَّوْطُ مِنْ جِلْدِه.

ولَـمَّا اسْتَوْفَى الرَّجُلُ كَامِلَ عُقُوْبَتِه، جَدَّدَ إلى القَاضي رَفْعَ خُصُوْمَتِه، فصَنَعَ بِهِ صَنِيْعَ القَاضي السَّابِق، وأَلْزَمَهُ بِإِحْضَارِ خَصْمِهِ الآبِق، ومَـرَّتْ عَلَيْهِ الشُّهُوْرُ والسَّنَوَات، وشَاخَ الرَّجُلُ وخَصْمُهُ مَات، فأَوْصَى بَنِيْـهِ أَنْ يُطَالِبُوا وَرَثَـتَه، وأَنْ يُـحْضِرُوا أَوْرَاقَهُ ومِـحْبَـرَتَه، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِكِتَابَـةِ مَـا أَحْرَقَ أَعْمَاقَه، وأَمْلَى وهوَ عَلَى كُرْسِيِّ الإعَاقَة:

إلَى اللهِ أَشْـكُو ضَـعْفَ حَـالِي وَحِيْلَتِـي ... وَمَا ضَاعَ مِنْ مَالِي وَمِنْ عُمْـرِيَ المَـاضي

فَيَـا لَيْـتَ أَنِّي أَسْـتَعِيْضُ بِـمَا مَـضَى مِنَ المَالِ عُمْراً لَـسْتُ عَنْـهُ بِمُعْتَـاضِ

دُهُـوْرٌ مِـنَ الـخِذْلانِ مَـرَّتْ بَطِيْئَـةً وَمَـرَّ شَـبَابِي بَيْنَـهَا مِثْـلَ إِيْـمَاضِ

وَخَلَّفَنِـي يَـأْسِي كَـسِيْفاً مُعَـذَّباً أُعَـانِي مَـرَارَاتِي وَكَثْـرَةَ أَمْـرَاضِي

سَـعَيْتُ إلى حَقِّـي فَمَاطَلَنِـي بِـهِ قُـضَاةٌ أَرَوْنِي مِـنْهُمُ كُـلَّ إِعْـرَاضِ

فَعُدْتُ عَلَى الأَعْقَابِ مُضْطَرِبَ الـخُطَى وَهَـا أَنَـذَا نِـضْوٌ أُلَـمْلِمُ أَنْقَـاضِي

ظَمِئْـتُ فَـأَغْرَانِي سَرَابٌ مِـنَ المُنَـى ظَنَـنْتُ بِهِ رِيّاً، فَيَا طُـوْلَ تَرْكَـاضِي!

فَلَـمْ أَرْوِ مِـنْ وِرْدِ القُـضَاةِ حُـشَاشَتِي ولَـمْ يَسْقِ مَاءُ العَدْلِ يَابِسَ أَحْوَاضِي

صُـدُوْدٌ وَتَـسْوِيْفٌ وَطُـوْلُ تَـجَهُّمٍ وَزَجْـرٌ وَتَـهْدِيْدٌ وَنَظْـرَةُ إِبْغَـاضِ

فَلِلَّـهِ مَـا لاقَيْـتُ مِـنْ سُـوْءِ بَعْـضِهِمْ! وَلِـلَّـهِ كَمْ يُـبْلَى القَـضَاءُ بَعَـضَّاضِ!

يُرِيْـكَ إذا مَـا جِئْتَـهُ كُـلَّ جَفْـوَةٍ كَأَنَّـكَ مِنْـهُ آمِـلٌ بَعْـضَ إِقْـرَاضِ

يُـشَوِّهُ شَرْعَ اللهِ شَـكْلاً وَمَـخْبَراً! وَيَزْهُو بِـبُـرْدٍ حَاسِرٍ عَنْهُ فَـضْفَاضِ!

رَضِـيْتُ بِـشَرْعِ اللهِ حُكْـماً مُنَـزَّهاً وَمَا أَنَا عَمَّنْ شَـوَّهَ الـشَّرْعَ بِـالرَّاضِي

فَـلا تَعْـذِلُوْنِي لَـوْ تَـبَاطَـأَ بِي الأَسَـى وَصِحْتُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ: أَبْطَأُ مِنْ قَاضِي

٣ – «أَبْلاَهُ مُسْتَوْصَفٌ خُصُوْصِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في المُطْرِقِ السَّاهي، وقَدْ دَهَتْهُ مِنْ دُنْيَـاهُ الـدَّوَاهي، وصَـارَ لِـشِدَّةِ مَـصَائبِه، يَنْتِـفُ أَطْـرَافَ شَـوَارِبِه، وعَيْنَـاهُ في المَـدَى مُـحَمْلِقَـتَان، وعَلَى شَفَتِهِ يَتَدَلَّى اللِّـسَان، والمُـسْتَوْصَفُ الـخُـصُوْصِيُّ مَصْيَدَة، ظَاهِرُهُ الرَّأْفَةُ وباطِنُهُ المَنْكَدَة، يَمْتَصُّ أَمْوَالَ المَسَاكِيْن، ويَقْطَـعُ مِنْهُمْ بِسِكِّيْن، الدَّاخِلُ إِلَيْهِ مَـخْدُوْع، والـخَارِجُ مِنْهُ مَفْجُوْع، يُظْهِرُ في الصَّحِيْحِ العِلَل، ويُدْنِي مِنَ العَلِيْلِ الأَجَل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً قَرَصَتْهُ نَمْلَة، ولَـمْ تُـصِبْهُ مِـنَ القَرْصَـةِ أَيَّـةُ عِلَّـة، فوَسْـوَسَ لَـهُ أَصْـحَابُهُ الـخَوَاصّ، بِمُرَاجَعَـةِ المُـسْتَوْصَفِ الـخَاصّ، وذَلِكَ لِسُرْعَتِهِ في إنْجَازِ المَهَامّ، ولِكَثْرَةِ ازْدِحَامِ المُسْتَوْصَفِ العَامّ، وأَوْصَـوْهُ بِتَـضْمِيْدِ مَكَـانِ القَرْصَـة، وأَلاّ يَـتْرُكَ لِعَـوْدَةِ الأَلَـمِ فُرْصَة، فوَثَبَ الرَّجُلُ إلى المَكَـانِ المُـشَارِ إِلَيْـه، ودَفَـعَ أُجْـرَةَ التَّـضْمِيْدِ

والكَشْفِ عَلَيْه، ثُـمَّ أَشْخَـصُوْهُ إلى طَبِيْـبٍ أَقْـرَع، لِلْفَهْلَـوَةِ في وَجْهِـهِ مَرْتَع، وعَلَيْهِ نَظَّارَةٌ سَمِيْكَة، والـشَّهَادَاتُ تَـمْلأُ شَـبَابِيْكَه، فلَـمَّا رَأَى القَرْصَةَ وَلْوَل، واسْتَدْعَى مُسَاعِدِيْهِ واسْتَعْجَل، وأَمَـرَ بِنَقْلِـهِ إلى غُرْفَـةِ الإسْعَاف، وطَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ بِطَاقَةَ الصَّرَّاف، ثُمَّ شَدَّ حِزَامَ البِنْطَـال، واقْتَـرَبَ مِنْهُ وقَال:

لَقَدْ رَأَيْتُ وَرَبِّنا المَعْبُوْد، بِعَيْنِي التي سَيَأْكُلُها الدُّوْد، قَرْصَةً لَـمْ أَرَ مِثْلَهَـا عَـلَى الإطْـلاق، ولا أَعْـرِفُ أَخْطَـرَ مِنْهـا عَـلَيَّ الطَّـلاق، ولِـذا سَنُجْرِي لَكَ التَّحَالِيْلَ الفَوْرِيَّة، ونُخْضِعُكَ لِبَعْضِ الأَشِـعَّةِ المَقْطَعِيَّـة، فإنْ كَانَتِ النَّتِيْجَةُ كَمَا في البَال، فلا بُدَّ فَوْراً مِنَ الاسْتِئْصَال، وسَـنَقُصُّ أَوَّلاً إصْـبَعَكَ المَقْـرُوْص، فـإنِ انْتَقَلَـتِ العَـدْوَى مِـنَ المَقْـصُوْص، فوَالكَعْبَـةِ الـشَّرِيْفَةِ والمُـصْحَف، لا بُـدَّ مِـنِ اسْتِئْـصَالِ الكَـفّ، وقَـدْ نَسْتَأْصِلُ أَعَلَى السَّاعِد، والبِنْكِرِيَاسَ والكَبِدَ الزَّائد، ورُبَّمَـا اضْـطُرِرْنا إلى بَتْرِ رِجْلَيْك، وقَدْ نَـنْـزِعُ إحْدَى كُلْيَتَيْك، فوَقِّعْ عَلَى وَرَقَـةِ المُوَافَقَـة،

وهُنَا عَلَى الفَاتُوْرَةِ المُرَافِقَة، وبِحَقِّ ما أَكَلْنَاهُ مِنْ عَيْشٍ ومِلْح، إنَّ هَـدَفَنا العِلاجُ ولَيْسَ الرِّبْح، فإِنْ أَخَذَتْكَ بِالشَّكِّ لَـجَاجَة، فإِنَّ الفُلُوْسَ آخِـرُ حَاجَة، ومِثْلُكَ نَرْفَعُهُ عَلَى الرُّؤوْس، ونُعَالِـجُهُ مِنْ غَيْرِ فُلُوْس، ولَكِنَّـهُ ثَمَنُ الدَّوَاءِ وغُرْفَةِ الإنْعَاش، وقِيْمَةُ ما سَنَـنْسَاهُ فِيْكَ مِنْ شَاش.

فوَقَّعَ المِسْكِيْنُ عَلَى الأَوْرَاق، وهوَ بَيْنَ الـذُّهُوْلِ والإشْـفَاق، فلَـمَّا أُجْرِيَتْ لَهُ العَمَلِيَّات، وأَفَـاقَ مِـنْ خَـدَرِ الإغْـمَاءات، شَـخَصَ بِعَيْنِـهِ اليُسْرَى، حَيْثُ لَـمْ يَـجِدِ الأُخْرَى، فَصَوَّبَ عَيْنَهُ الشَّاخِـصَة، ووَجَـدَ جُثَّـتَهُ نَاقِصَة، القُطْنُ يَمْلأُ كُوْعَـه، وسَـاقُهُ اليُمْنَـى مَقْطُوْعَـة، ورِجْلُـهُ اليُسْرَى مَشْلُوْلَة، وإحْدَى أُذُنَيْهِ مَنْشُوْلَة، وضِرْسُهُ الصِّنَاعِيُّ مُنْتَــهَب، إذْ كَانَ مَصْنُوْعاً مِنْ ذَهَب، وشَعَـرَ أَنَّ بَطْنَهُ بَادِي الارْتِـخَاء، لِكَثْرَةِ مـا سُلِبَ مِنْهُ مِنْ أَعْضَاء، وبَيْنَمَــا هُـوَ يَفْحَـصُ المَسَالِك، ويَتَحَقَّـقُ مِـنْ وُجُوْدِها هُنَالِـك، إذْ دَخَـلَ عَلَيْـهِ الطَّبِيْـبُ المُحْتَـال، وبَـارَكَ لَـهُ عَـلَى تَـحَسُّنِ الـحَال، ووَصَفَ لَهُ عِلاجَـاتٍ وَافِـرَة، ودَلَّـهُ عَـلَى الـصَّيْدَلِيَّةِ

المُجَاوِرَة، فأَخَذَ الرَّجُلُ يَبْكِي مِـنَ البَلْـوَى، ويَتَوَعَّـدُ الطَّبِيْـبَ بِالوَيْـلِ والشَّكْوَى، فرَمَقَهُ الطَّبِيْبُ وابْتَـسَم، ونَاوَلَـهُ الوَرَقَـةَ والقَلَـم، وقَـالَ: أُوْصِيْكَ بِحُسْنِ الصِّيَاغَة، ومُرَاعَاةِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ والبَلاغَة، وإنْ شِـئتَ التَّقْوِيْم، فأَنا مُدَرِّسٌ قَدِيْم.

فلَمْ يَمْلِكِ الرَّجُلُ إلاّ أَنِ اسْتَدْعَى ذَوِيْه، فأَخْرَجُوْهُ حَامِلِيْنَ ما بَقِيَ فِيْه، وتَأَمَّلَ مَرَّةً أُخْرَى أَوْصَالَه، فأَنْشَدَ وهوَ عَلَى النَّقَّالَة:

إلَيْـكَ يَـا خَـالِقِي شَـكَاةً   مِنْ مُدَّعِي الطِّبِّ وَاللُّصُوْصِ

أَتَيْـتُهُمْ طَالِبـاً ضِـمَاداً   فَعَوَّقُـوْنِي عَـنِ الـخُلُوْصِ

وَأَشْخَـصُوْنِي إلى طَبِيْـبٍ   وَيْـلاهُ مِنْـهُ وَمِـنْ شُـخُوْصي

غَـالَى بِإرْجَافِـهِ فَتَـبّاً   لِشَارِبٍ مِـنْ دَمِـي مَـصُوْصِ

وَكَـانَ في رَأْسِـهِ بَرِيْـقٌ   كَأَنَّـهُ لَـمْعَةُ الفُـصُوْصِ

مَنْ صَدَّقَ القُرْعَ فَهْوَ شَخْصٌ   –لا شَكَّ– مِنْ أَحْمَقِ الشُّخُوْصِ

عَـــرَّى أَكَـــاذِيْبَهُمْ ثِقَـــاتٌ وَذَمَّهُـــمْ ثَابِـــتُ النُّـــصُوْصِ

وَحَـــذَّرَتْ مِـــنْهُمُ الوَصَـــايَا وَحَـــالَتِي بِالـــحِذَارِ تُـــوْصِي

قَدْ كُنْتُ مِـنْ قَبْـلُ مُسْتَـصِحّاً وَالآنَ أَصْبَحْتُ عُوْدَ خُـوْصِ

أَسْـــعَى بِنَقَّـــالَتِي حَثِيْثـــاً كَـــأَنَّنِي أَمْتَطِـــي قَلُـــوْصِي

يَقُـــوْلُ مَـــنْ رَاعَـــهُ بَلائـــي: أَبْلاَهُ مُـسْتَوْصَفٌ خُـصُوْصِي

٤ – «أَجْوَرُ مِنْ أُنْثَى عَلَى أُنْثَى»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في كثيرِ الظُّلْـمِ عظيمِـه، وفي كـارِهِ قَرِيْبِـهِ وحَمِيْمِـه، ولِمَنْ يَزْدَادُ ظُلْمُهُ عَلَى فِئـات، ويَلِـيْنُ لَـدَى أُخْـرَى كَالـشَّاة، وأُفْـرِدَتِ الأُنْثَى بِصِفَةِ الـجَوْر، لأنَّ كَيْدَهَا أَبْعَدُ في الغَوْر، كَمَا أنَّ جَـوْرَ الإنَـاثِ عَلَى الإنَاث، لَهُ وَقَائعُ ثَابِتَةٌ في التُّرَاث.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً تَزَوَّجَ زِيْـجَةً رَابِعَـة، مـنْ فَـتَاةٍ تَـدْرُسُ في الـجَامِعَة، فكَانَـتْ تَـشْكُو لَـهُ طَـيْشَ العَـامِلات، مِـنْ مُوَظَّفَـاتٍ ومُعَلِّـمَات، وكَانَتْ تَدْعُو أنْ يَصِيْرَ الأَمْرُ إلى الرِّجَـال، لِـمَا تَـرَاهُ مِـنْ رَأْفَتِهِمْ عَلَى كُلِّ حَال، أَوْ أَنْ يُـوَلَّى مِثْلُها عَلَـيْهِنّ، لِيَتَمَيَّـزَ لُطْفُهَـا مِـنْ بَيْنِهِنّ.

فشَاءَ ذُو المَنِّ وَالإحْسَان، أنْ تَكُوْنَ مِنْ مَنْسُوْباتِ المَكَان، فـسَارَتْ عَـلَى سِـيْرَةِ المَوَائـل، وجَـاءتْ بِـمَا لَـمْ يَـأْتِ بِـهِ الأَوَائـل، فأَسَـاءتِ

الْمُعَامَلات، وفَـتَـكَتْ بِالطَّالِبَات، وبَلَغَ زَوْجَها ما هِيَ فِيْهِ مِنْ سُـفُوْل، فأَنْشَأَ مِنْ فَوْرِهِ يَقُوْل:

رَثَيْتُ لَـهَا إذْ طَـالَ بَـوْحُ شَكَاتِــها ... مِـنَ الغَـبْنِ، وَالَمْغبُـوْنُ لا بُـدَّ أن يُرْثَـى

تُـسَائلُ مَوْلاهَــا بِـأَنْ يَرْفَـعَ الأَذَى ... وَيَكْبِــتَ عَنْهَــا نِــسْوَةً زِدْنَـــهَا بَثّــا

تَقُوْلُ: لَـوِ المَـوْلَى اصْـطَفَانِي مُعِيْـدَةً ... لَـحَرَّمْتُ هَذا الـجَوْرَ وَالكَيْـدَ وَالـخُبْثا

وَكُنْـتُ أُسَـلِّيْهَا بِعُقْبَـى اصْـطِبَارِها ... وَأَبْعَثُ فِيْها الفَأْلَ –مِنْ طِيْبَتِـي– بَعْثـا

فَلَــمَّا مَـضَتْ أَيَّامُهَــا وَتَـــخَرَّجَتْ ... أَفَاضَ عَظِيْمُ الـجُوْدِ فَضْلاً عَلَى الغَرْثَى

فَأَخْفَتْ شَكَاوَاها، وَأَبْدَتْ شُرُوْرَهَا ... وَرَاحَتْ تَـبُثُّ اللُّؤْمَ مِـنْ حَوْلِــهَا بَثّـا

فَقُلْتُ –وَقَدْ أُخْبِرْتُ عَنْ بَعْضِ جَوْرِهَا–: ... هُوَ الـجَوْرُ قَدْ حَازَتْهُ مِنْ جِنْـسِهَا إرْثـا

وَقَدْ صَدَقُوا.. لا شَيْءَ أَطْيَشُ مِنْ فَتـى ... وَأَجْوَرُ مِـنْ أُنْثَـى لَــجُوْجٍ عَـلَى أُنْثَـى

٥ – «أَحْمَقُ مِنْ بِرُقْرَاط»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَعْيَاهُ البَلَه، وظَنَّ أَنَّهُ في الـحِذْقِ لا مَثِيْلَ لَـه، وبِرُقْرَاطُ رَجُلٌ مِنَ الأَوَائل، وَلاَّهُ الـسُّلْطَانُ بَعْـضَ الـشَّوَاغِل، وكـانَ كَثِيْرَ الوَسْوَسَةِ والتَّعْقِيْد، مَرَّ بِهِ في عَمَلِهِ العُمْرُ المَدِيْد، ولَـمْ يُنْجِزْ شَـيْئاً ذَا قِيْمَة، ولَـمْ تكُنْ سِيْرَتُهُ قَوِيْمَـة، وهـوَ مُؤَسِّـسُ اللِّجَـانِ الفَرْعِيَّـة، وإِلَيْهِ تُنْسَبُ النَّظَرِيَّةُ البِيْرُقْرَاطِيَّة.

وأَصْـلُ المَثَـلِ أَنَّ كَاتِبـاً لَـدَى بِرُقْـرَاط، عُـرِفَ عَنْـهُ الإِخْـلاصُ والنَّشَاط، وحَدَثَ أَنِ انْتَـهَى حِبْرُ دَوَاتِه، ولَـمْ يَسْتَطِعْ إِنْجَـازَ مَهَمَّاتِـه، فعَـرَضَ مُشْكِلَـتَهُ عَلَى مُدِيْرِه، فعَنَّفَهُ عَلَى إِهْمَالِـهِ وتَبْـذِيْرِه، ورَفَـضَ أَنْ يُزَوِّدَهُ بِمَا أَرَاد، وأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ ثَمَنَ المِـدَاد، وأَحَـالَ طَلَبَـهُ إلى اللِّجَـان، ومَرَّ عَلَى البَتِّ فِيْهِ عَامَان، وطَوَالَ مُـدَّةِ البَـتِّ في الطَّلَـب، لَـمْ يُنْجِـزِ الكَاتِبُ ولا كَتَب، وظَلَّ عَلَى مَكْتَبِهِ كُلَّ نَـهَار، يَنْتَظِـرُ مـا يُـسْفِرُ عَنْـهُ

القَرَار، ثُمَّ صَدَرَ القَرَارُ الـحَاسِم، مُوْصِياً بِمَنْحِ ثَلاثَةِ دَرَاهِم، وأَنْ تُشْرِفَ لَجْنَةٌ عَلَى الكَاتِب، ولَجْنَةٌ أُخْرَى عَلَيْها تُرَاقِب، عَلَى أَنْ تُحَقِّقَ لَجْنَةٌ مَعَهُ بِشِدَّة، لِكَوْنِهِ لَمْ يُنْجِزْ طَوَالَ تِلْكَ المُدَّة.

ولَـمَّا انْتَهَتِ المُسَاءلَةُ والإجْرَاءات، شَرَعَ الكَاتِبُ في إنْجَازِ المُعَامَلات، فمَرَّتْ عَلَيْهِ حِسَابَاتُ اللِّجَان، فذُهِلَ مِنْ تَكَالِيْفِها عَالِيَةِ الأَثْمَان، وكَيْفَ أَنَّ صَرْفَ بِضْعَةِ دُرَيْهِمَات، كَلَّفَ الـخَزِيْنَةَ الآلافَ والمِئات، فحَمَلَ نَفْسَهُ وكُلُّهُ إحْبَاط، ودَخَلَ عَلَى مُدِيْرِهِ بُرُقْرَاط، وأَنْشَدَهُ وهوَ بَيْنَ عِصَابَتِه، وفي يَدِهِ وَرَقَةُ اسْتِقَالَتِه:

بُرُقْرَاطُ اسْتَمِعْ مِنِّي فَإِنِّي	رَأَيْتُكَ أَحْمَقَ الآرَاءِ خِبَّا
عَلَى أَنِّي عَلِمْتُكَ لا تُبَالِي	وَلا تَرْجُو مِنَ الآسِيْنَ طِبَّا
وَلَكِنِّي سَأُسْمِعُكَ احْتِقَانِي	وَأَشْفِي مِنْكَ قَافِيَةً وَقَلْبا
سِنُوْنَ مَضَتْ وَأَنْتَ تَظُنُّ وَهْماً	بِأَنَّكَ أَكْمَلُ الأَقْوَامِ لُبَّا

وَلَـسْتَ سِـوَى غَبِـيٍّ حَالَفَتْـهُ حُظُوْظٌ فَارْتَقَى فِي الأَمْرِ صَـعْبا

فَعَطَّلْـتَ المَـصَالِحَ فِي لِـجَانٍ تُصَيِّـرُ أَسْمَحَ الـحَاجَاتِ كَرْبـا

تَـمُرُّ بِـهَا الـسِّنُوْنَ ولا نَجَـازٌ فَكَمْ خَصْبٍ بِـهَا قَدْ صَارَ جَـدْبا

أَمِـنْ أَجْـلِ اعْتِـمَادِ دُرَيْـهِماتٍ تُبِـيْحُ خَزِيْنَـةَ الـسُّلْطَانِ نَـهْبا؟!

تُقِـرُّ لَـهَا الـدَّرَاهِمَ وَافِـرَاتٍ وَفِي إِقْـرَارِ نَـزْرِ المَـالِ تَـأْبى؟!

وَتُـصْدِرُ فِي مُعَـاقَبَتِي قَـرَاراً كَـأَنِّي جِئْـتُ فِي التَّـأْخِيْرِ ذَنْبـا؟!

فَلَـوْ يَـدْرِي بِـكَ الـسُّلْطَانُ يَوْمـاً لَـجَرَّكَ فِي حِبَـالِ الـسُّخْطِ كَلْبـا

فَخُـذْ مِنِّـي مَقَـالاً سَـوْفَ يَبْقَـى وَيَذْهَبُ فِي الوَرَى شَرْقاً وَغَرْبـا:

وَرَبِّي لَـمْ يَكُـنْ فِي النَّـاسِ حَمْقَـى بِـأَحْمَقَ مِـنْ بِرُقْـرَاطٍ وَأَغْبَـى



٦ – «أَحْيَلُ مِنْ مَصْرِف»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ بَـرَعَ في الـخِدَاع، ثُمَّ فَـتَكَ بِـضَحَايَاهُ فَتْـكَ السِّبَاع، وكانَ يُظْهِرُ اللِّيْنَ والابْتِـسَام، وهـوَ في بَاطِنِـهِ أَلَـدُّ الـخِـصَام، والمَصْرِفُ مَكَانٌ لِـحِفْظِ الوَدَائع، ومَرْتَعٌ تُعْتَسَفُ فيهِ الـشَّرَائع، يُغْـرِي المَـسَاكِيْنَ بِالتَّـسْهِيْلاتِ والعُـرُوْض، ويُـوْقِعُهُمْ في حَبَائـلِ التَّقْـسِيْطِ والقُـرُوْض، ويُـحَلُّ فيـهِ الرِّبـا بِاسْـمٍ مُـخْتَلِف، ولـهُ لِـجَانٌ تُقِـرُّهُ وتَغْتَرِف.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً مِنَ الأَخْيَار، أَوْقَعَهُ سُوْءُ حَظِّهِ عَلَى سِمْسَار، وكانَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ بَعْضُ المَال، ويَرْغَبُ في تَنْمِيَتِـهِ في الـحَلال، فلَـمْ يَسْتَثْمِرْ مَالَهُ في المَصَارِف، وهوَ لأَنْـوَاعِ تَلاعُبِهـا عَـارِف، ولَـمْ يَكُـنْ يُقْبِلُ عَلَى مَشْرُوْع، ولا يُغَامِرُ في مُبَاحٍ ولا مَمْنُوْع، حتَّى يَـخْتَبِرَ الوَسِيْطَ والتَّاجِر، ويَتَحَقَّقَ مِنْ طَهَارَةِ المَظَاهِر، فتَعَـرَّفَ عَـلَى سِمْـسَارٍ مَعْـسُوْلِ

اللِّسَان، يُبَادِرُ إلى الصَّلاة مَعَ الأَذَان، ثُوْبُهُ لَـمْ يُـجَاوِزْ قَدَمَه، وسِـوَاكُهُ لا يُفَارِقُ فَمَه، دَائمُ الذِّكْرِ والاسْـتِغْفَار، ولَـهُ لِـحْيَةٌ ووَقَـار، فأَلْـهَاهُ المَظْهَرُ عَنِ المَخْبَر، ووَقَعَ فِيْما كانَ يَـحْذَر، فما لَبِثَ السِّمْسَارُ أَنْ نَـصَبَ شَبَكَتَه، وأَغْرَى بِزَائفِ العُرُوْضِ سَمَكَتَه، ومِـنْ فَـوْرِهِ عَــرَضَ عَلَيْـهِ مُسَاهَمَة، وأَقْسَمَ لَهُ أَنْ يُضَاعِفَ دَرَاهِمَه، وسَاقَ لَهُ مِنْ هَوْلِ الكَلام، مـا يُغْرِي أَدْهَى الأَنَام، وحِيْنَ أَطْـرَقَ الرَّجُـلُ في هَوْلِـه، أَرْدَفَ السِّمْـسَارُ بِقَوْلِه:

يا أَخي في الله، إنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاة، وأَنا لا أُصْفِيْكَ إلاّ النُّصْح، ولا أَرْجُو مِنْـكَ أَيَّ رِبْـح، فاسْـمَعْ وُقِيْـتَ ضَـيْرا، وجَـزَاكَ اللهُ خَـيْرا، إنَّ المُسَاهَمَةَ تِلْكَ ذَاتُ جَدْوَى، وقَدْ أَصْدَرَ العُلَـماءُ فِيْها فَتْوَى، كَـما أَنَّــها مَدْعُوْمَةٌ مِنَ الكُبَرَاء، وعِلْيَـةُ القَـوْمِ فِيْهـا شُرَكَـاء، والقَـائمُوْنَ عَلَيْهـا رِجَالٌ أَكَـارِم، مِـنْهُمْ أَبُـو عِكْرِمَـةَ وأَبُـو عَكَـارِم، ولِـذا هِـيَ مَأْمُوْنَـة، وأَرْبَاحُهـا مَـضْمُوْنَة، وثَمَّـةَ آخَـرُوْنَ يَــحْلُمُوْنَ بِاغْتِنَامِهـا، ولَكِنَّهـا

أَوْشَكَتْ عَلَى تَـمَامِها، ولَـمْ يَبْقَ فِيْها غَيْرُ أَسْهُمٍ قَلِيْلَة، والنَّاسُ تَبْذِلُ في اقْتِنَاصِها الـحِيْلَة، وقَدْ بَقِيَ عَلَى إغْلاقِهـا يَوْمَـان، فبَـادِرْ إلى اغْتِنَامِهـا واللهُ الْمُسْتَعَان، ولَوْلا أَنَّنِـي أَحْبَــبْتُكَ في اللهِ العَظِـيْم، لَعَــرَضْتُها عَـلَى غَيْرِكَ يا أَخِي الكَرِيْم، فائْذَنْ لي بِالانْصِرَافِ الآن، لأَنَّنِي أَسْمَعُ صَوْتَ الأَذَان، وأَخْشَى أَنْ أَتَأَخَّرَ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّل، ويَفَوْتَنِي مِـنَ اللهِ الأَجْـرُ الأَجْزَل، فقَدْ صَحَّ في ثَابِتِ المَرْوِيَّات، عَنِ الرِّجَالِ الأَفَاضِلِ الثِّقَـات، أَنَّ نَبِيَّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، خَصَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ بِالفَـضْلِ الأَعْظَـم، ولَعَلَّكَ تُوَافِيْنِي بِالمَالِ هُنَاك، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَدِّدَ خُطَاك.

فوَضَعَ الرَّجُـلُ مَالَـهُ مَـعَ الــخَبِيْث، وحَـدَثَ مـا لا يَــحْتَاجُ إلى حَدِيْث، ثُمَّ سَـأَلَ عَنْـهُ أَهْـلَ الـدِّيْنِ والفَـضْل، فـأَخْبَرُوْهُ عَـنْ خُلُقِـهِ الـخَسِيْسِ الرَّذْل، وأَنَّهُ مُتَسَلِّقٌ عَلَى الدِّيْن، ولَيْسَ بِثِقَـةٍ ولا أَمِـيْن، ثُـمَّ حَذَّرُوْهُ مِنَ الانْخِدَاعِ بِالأَشْكَال، وبِخَاصَّةٍ فِيْما يَتَعَلَّـقُ بِالمَـال، فمَـضَى والـحَسْرَةُ مِلْءُ أَحْشَائه، وأَنْشَدَ وهوَ في غَمْرَةِ اسْتِيَائه:

تَــجَافَيْتُ عَــنْ مَـصْرِفٍ مَـاكِرٍ لِعِلْمِـــي بِـــأَنْوَاعِ حِيْلاتِـــهِ
يُـــرَابِي وَتُفْتِـــي لَـــهُ لَـــجْنَةٌ يَـــجُوْدُ عَلَيْهَـــا بِـــشَيْكَاتِهِ
يُـحَيِّــيْكَ إِنْ جِئْـتَ فِي حَاجَـةٍ وَفِيْـــكَ لَـــهُ كُـــلُّ حَاجَاتِـــهِ
تُرِيْـــكَ الأَمَـــانَ ابْتِـــسَامَاتُهُ وُكُــــلُّ الأَذَى فِي ابْتِـــسَامَاتِهِ
فَـإِنْ نَـالَ مِنْـكَ الـذي يَـشْتَهِي أَرَاكَ فُنُــــــوْنَ قَذَارَاتِـــــــهِ
فَمَـــنْ ذَا يُـــزَاحِمُ فِي مَـــوْرِدٍ وَقَـــدْ ذَاقَ كَــأْسَ مَرَارَاتِــهِ؟!
فَأَلْقَـانِيَ الــحَظُّ عِنْـدَ امْـرِئٍ يُـــخَبِّرُكَ الطُّهْـــرُ عَــنْ ذَاتِــهِ
قَـــصِيْرُ الإِزَارِ لَـــهُ لِـــحْيَةٌ وَيَـــا مَـــا أُحَـــيْلَى عِبَارَاتِـــهِ
يُنِيْلُـــكَ خَـــالِصَ تَـــجْرِيْبِهِ وَيُـــصْفِيْكَ عَـــذْبَ مَـــشُوْرَاتِهِ
وَثِقْـــتُ بِظَـــاهِرِ تَدْلِيْـــسِهِ ولَـــــمْ أَبْـــلُ بَـــاطِنَ نِيَّاتِـــهِ
فَـــأَحْرَزَ مَـــالِي وَوَلَّى بِـــهِ فَلِلَّـــهِ أَشْـــكُو خَـــسَاسَاتِهِ
لَقَـدْ كَـانَ أَحْيَـلَ مِـنْ مَـصْرِفٍ وَأَلْـــسَعَ مِـــنْ كُـــلِّ حَيَّاتِـــهِ
فَـتَـــبّاً لَـــهُ كَاذِبــاً فَــاجِراً يَـــرَى الــدِّيْنَ ضِـمْنَ تِـــجَارَاتِهِ

٧ – «أَرْخَصُ مِنْ دَال»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الشَّيْءِ الْمُمْتَـهَن، حِيْنَ يَـحُوْزُهُ الرَّعَاعُ بلا ثَمَـن، والدَّالُ حَرْفٌ مُـخْتَصَر، يَدُلُّ عَلَى عِلْـمٍ وأَثَـر، وحامِلُـهُ حَاصِـلٌ عَـلَى الدُّكْتُوْرَاه، بَعْدَ أنْ أَفْنَى في تَـحْصِيْلِها صِبَاه.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً جَدَّ في تَـحْصِيْلِه، ورَضِيَ مِنَ العَيْشِ بِقَلِيْلِه، فعُيِّنَ في جَامِعَتِهِ مُعِيْدا، وسَلَكَ في العِلْمِ دَرْباً مَدِيْـدا، وقَنِـعَ مِـنَ المَـالِ بِالنَّـزْر، وفازَ أَتْرَابُهُ بِجَزْلِ الأَجْر، وبَقِيَ عَلَى حَالَتِه، يَعْمَلُ في رِسَـالَتِه، ويُنْجِزُ مَرْحَلَةً تِلْوَ مَرْحَلَة، حَتَّى وَصَلَ لِـمَا سَارَ لَه، بَعْدَ سِنِيْنَ عِجَاف، رَضِيَ فِيها بِالكَفَاف.

وحينَ ذاقَ الوَبَال، وأَصْبَحَ ذَا دَال، سَمِعَ عَـنْ أُنـاسٍ تَدَكْتَــرَت، وفي حَلْبَةِ الزَّهْوِ تَـبَخْتَـرَت، ونَالَـتْ مِـنَ الـشَّهَادَةِ مُنَاهـا، بَـيْنَ عَـشِيَّةٍ وضُحَاها، فسَأَلَ عَنِ الـحَاصِل، فأُخْبِرَ بالمَهَازِل، واتَّضَحَ لـهُ أَنَّ تِلْـكَ

الفِئة، حَصَلَتْ عَلَى مِئةٍ مِنْ مِئة، وتَقْدِيْرُهُمْ مِنْ قَبْلُ مَقْبُوْل، ولا تَــكَادُ تَرْقَى بِـهِمْ عُقُوْل، وأَنَّ جِهَاتِـهِمُ المَانِحَة، عَقَدَتْ مَعَهُمْ صَفْقَةً رَابِحَـة، وحَلُّوا كِيْسَهُمُ المَرْبُوْط، فقَبِلُوا بلا شُرُوْط.

فزَفَرَ صَاحِبُنا وشَهَق، وقَرَّبَ اليَـرَاعَ والوَرَق، ثُمَّ اسْتَلْهَمَ مُعَانَاتَـهُ واسْتَحْضَر، وكَتَبَ بَعْدَما اسْتَعْبَر:

ثَـمانِ سِـنِيْنَ اقْتَـدْتُ فِيْهَـا مَطَامِــحِي وَكُنْتُ بِـهَا في أَسْـوأِ الـحَالِ وَالبَـالِ
أُصَرْصِرُ أَقْلامِــي وَأَحْــشُو دَفَــاتِرِي وَأَسْهَرُ حَتَّى يَسْأَلَ النَّجْمُ عَـنْ حَـالي
أَخُــطُّ وَأَمْـــحُو، ثُــمَّ أُطْـرِقُ مُتْعَبـاً وَأَنْهَـضُ وَالإِعْيَـاءُ يُنْهِـكُ أَوْصَـالي
أُرَاسِــلُ مُهْتَـــمّاً، وَأَسْــأَلُ عَالِـــماً وَأَبْــذِلُ في نَيْــلِ المَرَاجِــعِ أَمْــوَالي
إذا أَبْـصَرَتْ أُمِّــي عَنَـائي تَـحَـسَّرَتْ وَقَالَتْ: شَـفَاكَ اللهُ يـا وَلَـدي الغَـالي
وإنْ أَبْصَرَتْني زَوْجَتِي صَرَخَتْ أَسـىً وَقَالَتْ: إلامَ العَيْشُ مِنْ دُوْنِ أَطْفَالِ؟
فأُعْرِضُ عَـنْ هَـذِي وَتِلْـكَ، وأَنْثَنِـي أُسَــطِّرُ أَحْلامــي، وَأَرْسِــمُ آمَــالي

إلى أَنْ تَـــرَاءَى لِي الْمُـــرَادُ، وَطَــابَ لِي .. قِطَــافٌ أَرَانِي الوَيْــلَ حَتَّــى تَــسَنَّى لِي

فَلَـــمَّا تَدَكْتَـــرْتُ انْفَجَعْـــتُ بِثُلَّـــةٍ .. أَبَاحَتْ حِمَى التَّعْلِيْمِ فِي حِصْنِهِ العَــالِي

أَغَارُوا عَلَى الدَّالاتِ كَالقَمْــلِ حِيْنَمَــا .. يُغِيْرُ عَــلَى المَجْـرُوْبِ فِي غَفْلَــةِ الفَــالِي

وَفَـــتَّحَتِ الآمَــالُ أَبْوَابَـــهَا لَـــهُمْ .. وَلا عَجَــبٌ! فَالمَــالُ فَـــتَّاحُ أَقْفَــالِ

تَدَاعَوْا، ولَـمْ يَثْنُوا إِلى الـدَّرْسِ رُكْبَـةً .. وَمَــا قَـــرَؤوا إلا رَسَـــائِلَ جَـــوَّالِ

وَنَـــالُوا مُنَـــاهُمْ فِي لَيَـــالٍ سَرِيْعَـــةٍ .. كَأَنَّـــهُمُ مِـــنْ حَلْبَـــةِ الـسَّبْقِ فِي (رَالِي)

وَتَــاهُوا، فَــإِنْ نَــادَيْتَهُمْ دُوْنَ دَالِـــهِمْ .. رَمَوْكَ بِطَـرْفِ المُـسْتَقِلِّ لَـكَ القَــالِي!

فَقُلْـــتُ: وَرَبِّي لا رَفَعْـــتُ شَـــهَادَةً .. يُبَاهِي بِـهَا فِي النَّاسِ مَنْ عَقْلُـهُ خَــالِي

خُذُوْهَا وَأَعْطُونِي سِنِيْنِي التِي مَـضَتْ .. ورُدُّوا عَــلَيَّ الجَهْــلَ.. إِنِّي لَـــهَا سَــالِي

مِـنَ العَـارِ أَنْ تَـأْوِي إلى الـوَكْرِ قَمْلَـةٌ .. وَيَقْبَــعَ صَـــقْرٌ فَـوْقَ هَامَــةِ مِتْفَـــالِ

فَــلا شَيْءَ أَسْـــمَى مِـــنْ إِبَــاءٍ مُـــمَنَّعٍ .. وَأَهْوَنُ مِنْ قَمْلٍ، وَأَرْخَـصُ مِـنْ دَالِ

٨ – «أَشْفَعُ مِنْ وَاو»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في كَثِيْرِ الشَّفَاعَة، وَاجِبِ التَّقْدِيْرِ والإطَاعَة، و(وَاوٌ) اسْمُ رَجُلٍ مِنَ العَمَالِيْق، يُقَالُ إنَّهُ يَفْرِجُ الضِّيْق، وهوَ مِنْ عِلْيَةِ القَوْم، ولَهُ نَسْلٌ إلى اليَوْم.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ (وَاواً) زادَ عَلَى قَوْمِهِ ضَخَامَة، وكَانَتْ لا تَصِلُ إلى قَامَتِهِ قَامَة، وبَلَغَ طُوْلُهُ مِئَةَ ذِرَاع، ويَمْلِكُ أيْضاً الدِّيَارَ والضِّيَاع، وحُكِيَ أَنَّهُ يَصْرَعُ الفِيْلَ بِاللَّمْس، ثُمَّ يَشْوِيْهِ عَلَى الشَّمْس، وإذا ظَمِئَ شَرِبَ بَحْرا، ومَتَى احْتَقَنَ أَفْرَزَ نَهْرا.

فكَانَتِ الجَمَاعَاتُ حَوْلَهُ تُقِيْم، وتَلتَمِسُ فَضْلَ خَيْرِهِ العَمِيْم، وتُطِيْعُه لِحِمَايَتِه، ومَخَافَةِ جِنَايَتِه، فلَمْ يَكُنْ يُرَدُّ لهُ مَطْلَب، ولا لِعَاصِيْهِ مِنْهُ مَهْرَب، وبَقِيَتْ لهُ ذُرِيَّة، مُنْتَشِرَةً في البَرِيَّة، ما لَهَا عُشْرُ

ضَخَامَتِه، ولا هُطُوْلُ غَـمَامَتِه، فلَـمَّا هَلَكَ وبَاد، ونُصِبَتْ فَوْقَهُ الأَوْتَاد، وَجَدُوا عَلَى دَارِ وُجُوْمِه، شِعْراً لأَحَدِ خُصُوْمِه:

أَيَا (وَاوُ) خَبِّرْنِي عَـنِ المَـوْتِ وَالـبِلَى — وَعَنْ مَـجْدِكَ الفَانِي وَعَنْ قَبْرِكَ الـخَاوي

لَقَـدْ كُنْـتَ في الأَقْـوَامِ حَيّـاً مُعَظَّـماً — وَهَا قَدْ طَوَاكَ اليَوْمَ عَنْ عَيْشِنَا طَـاوي

قَهَرْتَ رِجَالاً، وَاغْتَصَبْتَ حُقُـوْقَهُمْ — وَنِلْتَ الذي لَـمْ يَـحْوِهِ في الوَرَى حَـاوي

وَقَسَّمْتَ خَـيْرَ الأَرْضِ قِـسْمَةَ جَـائِرٍ — فَأَشْبَعْتَ مَنْ تَـهْوَى، وَمَاتَ بِكَ الطَّاوي

تَـشَفَّعْتَ في الأَدْنَـيْنَ حَتَّـى رَفَعْـتَهُمْ — وَأَمَّـا سِـوَاهُمْ فَالرَّجَـاءُ بِـــهِمْ هَـاوي

لَقَدْ جُرْتَ حَتَّى قِيْلَ: يَا هَوْلَ جَـوْرِهِ — وَحَابَيْتَ حَتَّى قِيْلَ: أَشْـفَعُ مِـنْ (وَاوِ)

فَأَيْنَ الذِيْنَ اليَوْمَ تَرْقُـبُ حَــمْدَهُمْ؟ — لَقَدْ ذَهَبُوا وَاسْتَخْلَفُوا حَوْلَكَ العَـاوي

٩ – «أَشْكَلُ مِنْ حَدَاثِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ كَثُرَتْ طَلاسِمُه، وأَشْكَلَتْ عَلَى الأَفْهَامِ تَمَاتِمُه، والحَدَاثِيُّ رَجُلٌ لا يَعِي ما يَقُوْل، ولا تَصِلُ إلى هَذْرِهِ العُقُوْل، يَكْتُبُ لِنَفْسِه، ويَتَبَرَّأُ مِنْ أَمْسِه، كَثِيْرُ الانْتِقَادِ والضَّجَر، ويَرَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ البَشَر، نَاقِدُهُ في رَأْيِهِ رَجْعِيّ، وهوَ بِطَبْعِهِ نَفْعِيّ.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ شَابّاً أَحَبَّ الأَدَب، وبَذَلَ في جَنْيِ رَحِيْقِهِ ودَأَب، فمَرَّ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأَعْلام، وأَخَذَ عَنْهُمْ ما يَرْوِي الأُوَام، فما انْكَفَأَ عَلَى مَذْهَب، ولا اكْتَفَى مِنْهُ بِمَشْرَب، فجَمَعَ مِنَ الأَدَبِ المَحَاسِن، وانْتَقَى مِنَ المَنَاجِمِ المَعَادِن، فسَمِعَ عَنْ رَجُلٍ وَاسِعِ الذِّكْر، لَهُ مُصَنَّفَاتُ نَقْدٍ وشِعْر، فأَمَّهُ وقَصَدَه، وأَعْلَمَهُ مَقْصَدَه، والْتَمَسَ مِنْهُ الوِفَادَة، وتَحْصِيْلَ الإفَادَة، فمَا لَبِثَ الرَّجُلُ أنْ رَمَقَهُ شَزْرا، وأَطْرَقَ مَرَّةً وصَعَّدَ أُخْرَى، ثُمَّ اسْتَرْسَلَ يَقُوْل، وفي الفَرَاغِ يَجُوْل:

يَجِبُ أَوَّلاً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنَ الرُّفَات، وتَنْقَطِعَ عَنْ شُيُوْخِكَ النَّكِرَات، وتَمْسَخَ أَفْكارَكَ البَالِيَة، وتَتَجَرَّدَ مِنْ أَنَاكَ العَالِيَة، فحِيْنَ

تَـتَـبَلْوَرُ فِي بَوْتَقَـة، سَـتُدْرِكُ الـسِّيَاقَاتِ والأَنْـسِقَة، ولَـنْ يَكُـوْنَ لَـكَ صِيْت، قَبْلَ أنْ تَفْهَمَ التَّفْتِيْت، ولا غِنىً لَكَ عَنِ التَّمَظْهُر، وحَلِّ شَفْرَةِ (الـــهَمْبُرْغُر)، فكُـلُّ المَـــنَاهِجِ التَّارِيْـــخَانِيَّة، تُعْوِزُهَــا الدِّيْنَامِيْكِيِّــة الظَّاهِرَاتِيَّة، ومُؤَسِـسُ سُلْطَتِهَا شَـطَح، في إسْـقَاطَاتِ المُـصْطَلَح، ولا سِيَّـمَا أنَّ النَّاقِدَ (فِيْبَـرِغْلاس)، لَـمْ يَطَّلِعْ عَلَى نَظَرِيَّةِ هِيْمُوْرَاس، وظَـلَّ فِي صِرَاعٍ مُشْتَبِك، مَعَ الرِّوَائيِّ (مُـوْفِنْ بِـك)، ومَـعَ أَنَّـــهُما أفَـادَا مِـنَ التَّشَكُّلاتِ الإمْبِرْيَاقِيَّة، إلاّ أَنَّـــهُما يَفْتَقِـرَانِ إلى الـشَّفَافِيَّة، ولَـــهُما مِـنْ (كِرِسْتِيَنْ دُيُوْر)، مَوْقِـفٌ تَـأَزُّمِيٌّ مَـشْهُوْر، فَالـسِّيْمِيُوْطِيْقِيَا في رَأْيِـــهِما مُؤَشِّرَات، وهَذَا هُوَ رَأْيُ (دَانْكِـنْ دُوْنَـات)، ومَهْـمَا يَكُـنْ بَيْـنَهُمْ مِـنِ انْشِطَاح، فهُمْ يَتَّفِقُوْنَ عَلَى مَبْدَأِ الانْـزِيَاح، مَـعَ أنَّ المُـتَخَيَّلَ النَّـصَّانيّ، يَتَقَاطَعُ مَعَ التَّمَحْوُرِ الزَّمَكَانيّ.[١]

---

(١) قَالَ الرَّاوِي: أَقْحَمَ الـحَدَاثِيُّ الأَسْمَاءَ المُحَاطَةَ بِقَوْسَيْنِ تَـمَادِياً في الاسْـتِعْرَاض، وإلاّ فهِـيَ أَسْـمَاءٌ أَجْنَبِيَّةٌ لِبَعْضِ الأَطْعِمَة، والمُنْتَجَاتِ التِّجَارِيَّة.

وما زَالَ الرَّجُـلُ يَبْـرِمُ ويَفْتُـل، ويَمُـطُّ شِـدْقَيْهِ ويَـسْعُل، ويَرْفَـعُ نَظَّارَتَهُ ويَضَع، ويَشْبِكُ يَدَيْهِ ويَدَع، والفَـتَى أَثْنَاءَ ذَلِـكَ يُبْـدِي سَـأَمَه، ويَفْغَرُ في وَجْهِ الشَّيْخِ فَمَـه، فـمَا أَحَـسَّ بِـهِ ولا دَرَى، إلاّ حِـيْنَ فَارَقَـهُ وجَرَى، ولَـمَّا خَفَّ عَنْهُ الذُّهُوْل، أَنْشَأَ مِنْ فَوْرِهِ يَقُوْل:

أَلْقَانِيَ الرَّأْيُ التَّعِيْسُ عَـلَى امْـرِئٍ ... تَـتَنَافَرُ الكَلِـمَاتُ في أَوْصَـافِهِ
خَـالِي الفِنَـاءِ مُرِيْبَـةٌ لَفَـتَاتُهُ ... مُسْتَوْحِشُ النَّظَراتِ مِنْ أَضْـيَافِهِ
لازَمْتُـهُ أَبْغِـي جَنَـاهُ فَخَـصَّنِي ... بِحَـدِيْثِ مَـسْلُوْبِ الإرَادَةِ تَافِـهِ
أَرَأَيْـتَ أَشْـكَلَ مِـنْ حَـدَاثِيٍّ إذا ... لاكَ الكَلامَ، وَهَزَّ مِـنْ أَعْطَافِـهِ؟
يَـهْذِي بِمُلْتَبِسِ الكَلامِ، فَقُلْ لِمَـنْ ... رامَ التَّـشَعْوُذَ وَالكَهَانَـةَ: وَافِـهِ
لَـوْ لَـمْ أَقُـلْ وِرْدِي غَـدَاةَ أَتَيْتُـهُ ... لَـخَرَجْتُ مَـحْمُوْلاً عَـلَى أَكْتَافِـهِ
لَـمْ أَدْرِ مَـا مَغْـزَاهُ مِـنْ تَـمْطِيْطِهِ ... شِـدْقَيْهِ وَهْـوَ يَلُـجُّ في إرْجَافِـهِ

يَزْهُو بِمُصْطَلَحَاتِهِ، وَيَسُوْقُ لِي   أَعْلامَهَا، وَيَحُطُّ مِنْ أَسْلافِهِ

وَشْيٌ مِنَ التَّغْرِيْبِ مُلْتَحِفٌ بِهِ   وَيَظُنُّ أنَّ الوَعْيَ تَحْتَ لِحَافِهِ

قَدْ حَيَّرَتْنِي مِنْهُ كُلُّ عِبَارَةٍ   وَعَيِيْتُ كُلَّ العِيِّ عَنْ أَهْدَافِهِ

١٠ – «أَضْيَعُ مِنْ رَاتِب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ بَلَغَ بِهِ الضَّيَاعُ مُنْتَـهَاه، وتَـبَدَّدَتْ عَلَى دُرُوْبِ حَاجَاتِهِ خُطَاه، والرَّاتِبُ مَالٌ يُقْبَضُ كُلَّ شَهْر، يَـحْصُلُ عليـهِ العَامِـلُ نَظِيْرَ أَجْر، ولا يَكَادُ يُغْنِي مِنْ جُوْع، ويَتَـبَدَّدُ في أَوَّلِ أُسْبُوْع.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً كَانَ يُنْجِزُ مُعَامَلَة، فلَقِيَ منَ العَـامِلِيْنَ أَسْـوَأَ مُعَامَلَة، هَذَا يُبْعِدُ عَنْهُ ويُشِيْح، وذَاكَ يَعْبِسُ بَوَجْهٍ قَبِيْح، وثَالِثٌ يَـهُشُّ بِالصَّحِيْفَةِ مُرَاجِعَه، وهوَ يَـحُلُّ الكَلِـمَاتِ الـمُتَقَاطِعَة، ورَابِـعٌ يَعْتَـذِرُ بِالانْشِغَال، وهـوَ يَـهْمِسُ بِـهَاتِفِهِ الـجَوَّال، وخَـامِسٌ مـا لَـهُ عَـنِ الـحَاسُوْبِ الْتِفَات، وهوَ غَارِقٌ في مَوَاقِعِ المُحَادَثَات.

حَتَّى إذا طَافَ بِالمَبَانِي والمَكَاتِب، وعَادَ مِنْ حِيْثُ أَتَى كَالـخَائِب، أَشَارَ عَلَيْهِ مُـحِبُّوْه، بِما أَوْصَاهُ بِهِ أَبُوْه، فتَـذَكَّرَ مُوَظَّفـاً في الـدَّائرَة، قَـدْ

أَرْضَعَتْهُ جَدَّتُهُ العَاشِرَة، فقَصَدَهُ وحَيَّاه، وَأَخْبَـرَهُ عَنْ مَسْعَاه، فـما عَـادَ إلَيْهِ لَـمْحُ طَرْفِه، إلاّ ومُعَامَلَـتُهُ مُنْجَزَةٌ في كَفِّه، ثُمَّ أَنْشَدَه، حِيْنَ أَنْجَدَه:

رَمَتْنِي الـحُظُوْظُ عَـلَى عُـصْبَةٍ ... تُصَعِّبُ مِنْ مَطْلَبِي كُـلَّ هَـيْنْ

أُطَـــارِدُهُمْ وَاحِـــداً وَاحِـــداً ... وَأَرْجِـعُ مِـنْهُمْ بِخُفَّـي حُنَـيْنْ

فَمُذْ أَفَـلَ الفَـأْلُ عَـنْ مَطْلَعِـي ... وَعُدْتُ كَمَا جِئْتُ صِفْرَ اليَدَيْنْ

قَـــصَدْتُكَ مُلْتَمِـــساً نَخْـــوَةً ... رَضَعْنَا بِـهَا في الصِّبَا رَضْعَتَيْنْ

فَـــأَنْجَزْتَ لي مَطْلَبَـــاً هَـــدَّني ... وَأَنْـهَيْتَ مَسْعايَ في لَـمْحِ عَيْنْ

وَقَدْ كُنْـتُ أَضْـيَعَ مِـنْ رَاتِـبٍ ... تَفَـرَّقَ بَـيْنَ مُكُـوْسٍ ودَيْـنْ

فَـــشُكْراً لِـــــجَدَّتِنا مَـــرَّةً ... وشُـــكْراً لأَثْـــدَائها مَـــرَّتَيْنْ

١١ – «أَغْدَرُ مِنْ كُرْسِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ غَرَّهُ المَنْصِبُ المُؤَقَّت، فشَقَّ عَلَى مَنِ اسْتُؤْمِنَ عَلَيْهِمْ وأَعْنَت، وراحَ يُسِيْءُ ويَبْطِش، ويَلْكُمُ هَذا ويَخْدِش، والكُرْسِيُّ مَنْصِبٌ دَوّار، لَيْسَ لَهُ قَرَار.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ مُوَظَّفاً غَبَنَهُ مُدِيْرُهُ الجَدِيْد، اللابِسُ وَهْماً حِلْيَةَ هَارُوْنَ الرَّشِيْد، فزادَ عَلَيْهِ المَشَقَّة، وسَلَبَهُ كَرامتَهُ وحَقَّه، ومَارَسَ مَهَامَّ الخُلَفَاء، فنَهَى وأَمَرَ بِما شَاء، وتَعَسَّفَ في القَرَارَاتِ والأَوَامِر، وأَهَانَ أَكَابِرَ القَوْمِ والأَصَاغِر، وجَعَلَ العَامِلِيْنَ في احْتِدَام، وأَوْقَعَهُمْ في تَحَزُّبٍ وصِدَام، ولَمْ يَعْتَدَّ إلا بِمُشَابِهِيْهِ في العُنْف، وأَزْرَى بِمَنْ طَابَعُهُمُ اللِّيْنُ واللُّطْف، ووَصَمَهُمْ بِالإهْمَالِ والرَّخَاوَة، ورَأَى أنَّ التَّمَيُّزَ في القَسَاوَة، وهوَ مَعَ تَشَدُّقِهِ بِالأَنْظِمَةِ حِيْنَ يُوَاجِه، يَتَحَايَلُ عَلَيْها بِمَا يُوَافِقُ مِزَاجَه، فكَمْ حَابَى عُصْبَتَهُ العَنِيْفَة، وكَمْ حَبَا

سِوَاهُمْ تَطْفِيْفَه، وقَدْ غَابَ عَنْهُ أنَّ كُرْسِيَّهُ هَشّ، وأنَّـهُ سَـيَجْلِسُ بَعْـدَهُ عَلَى قَشّ، وحِيْنَئِذٍ يَـجْنِي الشَّوْكَ زَارِعُه، ويَنْدُبُ ثَوْبَ المُرُوْءَةِ خَالِعُه.

وما هِيَ إلا شُهُوْرٌ ولَّتْ مُدْبِرَة، حَتَّى رُكِـلَ الْمُـدِيْرُ عَـلَى الْمُـؤَخِّرَة، فعَادَ لا هَيْبَةَ لَهُ ولا قِيْمَة، وانْفَضَّتْ عَنْهُ عُصْبَتُهُ اللَّئِيْمَة، وصَارَ لِـمَا هُوَ فِيْهِ مِنْ إيْـحَاش، يُنَاجِي عَامِلَ الصِّيَانَةِ والفَرَّاش، وكَـمْ شُـوْهِدَ وهـوَ يَـهُشُّ الذُّبَاب، ويَعْبَثُ بِأَنْفِهِ مِنْ غَيْرِ احْتِسَاب.

وقَبْلَ أَنْ يُـخْلَعَ الْمُدِيْرُ مِنْ مَنْصِبِه، رَأَى الْمُوَظَّفُ أَنْ يَـخُصَّهُ بِتَعَتُّبِه، إذْ كَـانَ بَيْـنَهُما وُدٌّ قَـدِيْم، وقَـدْرٌ مِـنَ الإخَـاءِ حَمِـيْم، فانْـدَفَعَ بِوَاجِـبِ الصُّحْبَةِ الْمُضَاعَة، لِيُبَصِّرَهُ بِمَـا هُوَ فِيْهِ مِنْ بَـشَاعَة، فـنَظَمَ فِيْـهِ قَـصِيْدَةً عَلَّهَا تُطِبُّه، وافْتَـتَحَها بِخِطَابِـهِ بِـما يُـحِبُّه، ثُـمَّ دَخَـلَ عَلَيْـهِ مَكْتَـبَه، وأَنْشَدَهُ حِيْنَمَـا انْتَـبَه:

حَنَانَيْكَ يَا ذَا المَجْـدِ والـجَاهِ والعُـلا وَيَا قَمَـرَ الـدُّنْيَا وَيَـا مَطْلِـعَ الـشَّمْسِ

أَصِخْ لِصَدِيْقٍ لَـمْ يَـحُلْ عَـنْ وَفَائـهِ ولَـمْ يَـنْسَ وُدّاً صَـانَهُ لَـكَ بِـالأَمْسِ

رَأَيْتُـكَ مَقْطُوْعـاً عَـنِ الـرَّأْيِ سَـادِراً وَتَـخْتَالُ فِي الأَنْحَـاءِ مُنْتَفِخَ الـرَّأْسِ

تُـسِيْءُ إِلَيْنَـا شَاتِـماً وَمُلاسِـناً وَتَفْتِـكُ فِيْنَـا مِثْـلَ عَنْتَـرَةَ العَبْـسِي

أَهَنْـتَ شُـيُوْخاً، وَاعْتَـسَفْتَ أَحِبَّـةً وَطِشْتَ كَمَا قَدْ طَاشَ في يَـدِكَ (البِبْـسِي)

فَقُلْتُ: صَدِيْقِي حَادَ عَنْ سَنَنِ الـهُدَى وَظَـنَّ بِـأَنَّ الثُّـوْمَ أَحْـلَى مِـنَ الـدِّبْسِ

وَلَـمَّا رَأَيْـتُ الـشَّقَّ زَادَ اتِّـسَاعُهُ وَأَصْبَحْتَ أَعْرَى مِنْ مُـجَرَّدَةِ اللُّـبْسِ

أَتَيْتُ أَقُـوْلُ: اسْـمَعْ نَـصِيْحَةَ مُـشْفِقٍ أَتَاكَ مِنَ التَّعْجَالِ مُـسْتَأْجِراً (تَكْـسي)

تَنَـبَّهْ فَـمَا شَيءٌ أَخَـسَّ مِـنَ الأَذَى وَأَخْبَثَ مِنْ لُـؤْمٍ وَأَغْـدَرَ مِـنْ كُـرْسي

وَهَذَا ولَـمْ تُـمْنَحْ سِوَى بَعْضِ سُلْطَةٍ فَكَيْفَ إذا الكُرْسِيُّ تَـحْتَكَ قَـدْ أُرْسي؟!

سَتَـشْنِقُ مُـسْتَاءً، وَتَـصْلِبُ شَـاكِياً وَأَهْوَنُـنَا سُـخْطاً يُقَـادُ إلى الـحَبْسِ!



١٢ - «أَغْنَجُ مِنْ مِسْخ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ تَـكَلَّفَ النُّعُوْمَة، وسَلَكَ في التَّمَايُـعِ مَـسَالِكَ مَذْمُوْمَة، والمِسْخُ جِنْسٌ مِنَ البَشَر، يَـجْمَعُ بَيْنَ الأُنْثَـى والـذَّكَر، وهـوَ أَصْلاً فَتىً نَاقِصُ الرُّجُوْلَة، يُطِيْـلُ أَمَـامَ المِـرْآةِ مُثُوْلَـه، ويَلْـبَسُ أَضْـيَقَ المَلابِس، ولأُخْتِهِ دَائماً يُنَافِس، وقَدْ يُطَـوِّرُ في الغَـنَجِ سُـلُوْكَه، فَيُـبَرْوِزُ وَجْهَهُ بِأَغْرَبِ سَكْسُوْكَة.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً قَضَى عَلَيْـهِ العَنَـاء، أنْ يُـحَقِّقَ رَغْبَـةَ أُخْتِـهِ الرَّعْنَاء، وكَانَـتْ فَـتَاةً رَدِيْئَـةَ النَّـصِيْب، وسَـبَقَ أنْ طَلَبَهـا أَكْثَـرُ مِـنْ خَطِيْب، فكَانَتْ تُعْلِـنُ لأَهْلِهـا عَـنْ إحْجَامِهـا، لِكَـوْنِهِمْ لا يُـشْبِهُوْنَ فَارِسَ أَحْلامِها، وأنَّـها لا تَرْغَـبُ أنْ يَـجْمَعَها زِفَـاف، إلاّ مَـعَ مَـنْ يُشْبِهُوْنَ نُجُوْمَ الغِلاف، وبِخَاصَّةٍ مَنْ تَظْهَرُ عَلَيْهِمُ المُيُوْعَـة، ولَـهُمْ في الغِنَاءِ أَعْمَالٌ مَسْمُوْعَة، فرَثَـى أَخُوْهـا لِرَغْبَتِهـا المَهْوُوْسَـة، وخَـافَ أنْ

تُدْرِكَ أُخْتَهُ العُنُوْسة، فطَافَ يَبْحَثُ عَمَّنْ تِلْكَ صِفَاتُه، وطَالَ في الرِّجَالِ تَفَرُّسُهُ والْتِفَاتُه، فلَمْ يَجِدْ في أُولَئكَ طِلابَه، فَاسْتَشَارَ في الأَمْرِ أَصْحَابَه، فأَخْبَرُوْهُ أَنَّـهُمْ يَكْثُرُوْنَ في الأَمَاكِنِ القَمِيْئَة، وفي المَقَاهي الخَافِتَةِ والشَّوَارِعِ المُضِيْئَة، ولا يَخْرُجُوْنَ إلاّ في المَسَاء، ولا يَكَادُوْنَ يُمَيَّزُوْنَ عَنِ النِّسَاء.

ومِنْ فَوْرِهِ وَثَبَ الأَخُ الحَرِيْص، وبَعْدَ طُوْلِ بَحْثٍ وتَمْحِيْص، عَثَرَ عَلَى فَتىً نَاعِمِ الأَطْرَاف، وتَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مُعْظَمُ الأَوْصَاف، وكَانَ قَابِعاً في المَقْهَى وَحْدَه، يَدْهُنُ بِبَعْضِ المُرَطِّبَاتِ جِلْدَه، ويَرْفَعُ بَعْضَ خُصُلاتِهِ عَنْ جَبِيْنِه، ثُمَّ اتَّكَأَ بِأَسْفَلِ فَكِّهِ عَلَى يَمِيْنِه، وأَرْخَى حِزَامَ بِنْطَالِهِ اللَّزَّاز، وظَلَّ مُسْتَرْخِياً يُشَاهِدُ التِّلْفَاز، وأَثْنَاءَ انْسِجَامِهِ في المُشَاهَدَة، هَزَّزَ عِطْفَيْهِ ولَوَّى سَاعِدَه، وأَخَذَ يَتَمَايَلُ مَعَ الأُغْنِيَة، وهوَ في حَالَةٍ مُنْتَشِيَة، ثُمَّ الْتَفَتَ في نُعُوْمَةٍ واسْتَدَار، واسْتَدْعَى النَّادِلَ (كُوْمَار)، وطَلَبَ أَنْ يُغَيِّرَ القَنَاة، وأنْ يُحْضِرَ لهُ مِرْآة، فأَعَادَ تَنْعِيْمَ

وَجْهِهِ البَرَّاق، ثُمَّ شَكا إلى النَّادِلِ غَبَاوَةَ الـحَلاّق، وكَيْفَ أنَّهُ لِقِلَّةِ خِبْرَتِه، كَادَ يَقُصُّ طَرَفَ طُرَّتِه، وكَيْفَ أنَّ خُشُوْنَةَ يَدَيْه، أَوْشَكَتْ أنْ تَجْرَحَ خَدَّيْه، فنَظَرَ إليهِ النَّادِلُ بِازْدِرَاء، ثُمَّ تَرَاجَعَ عَنْهُ إلى الوَرَاء.

وكَانَ الأَخُ يَتَرَقَّبُ فُرْصَةً مُنَاسِبَة، لِكَي يُدَاخِلَهُ ويَجْلِسَ جَانِبَه، وفَجْأَةً انْتَفَضَ الفَتَى وثَار، لَـمَّا تَسَلَّلَ إليهِ صُرْصَار، فانْتَهَزَ عَجِلاً الفُرْصَةَ واغْتَنَم، ووَثَبَ يَسْحَقُ الصُّرْصَارَ بِالقَدَم، فشَكَرَهُ الفَتَى ودَعا لَه، وكَانَ مِنْ ضِمْنِ ما قَالَه:

يَا رَبِّ احْفَظْهُ مِنَ الـحَشَرَات، واحْمِهِ مِنَ القِشْرَةِ والتَّشَقُّقَات، وارْزُقْهُ أَجْمَلَ العُطُوْرِ والأَصْبَاغ، وامْلأْ كُلَّ أَوْقَاتِهِ بِالفَرَاغ، ولا تَقْصِفْ يَا رَبِّ ظُفْرَه، ولا تُرِهِ في المَنَامِ فَأْرَة، وعَلِّمْهُ الرَّقْصَ والسَّخَافَة، وزِدْ خَصْرَهُ نَحَافَة.

وكَانَ الأَخُ وَاقِفاً في ذُهُوْل، ولا يَدْرِي مَاذا يَقُوْل، ومُنْذُ أَتَمَّ السَّخِيْفُ دُعَاءهُ السَّالِف، هَمَّ بِاحْتِضَانِ صَاحِبِنا الوَاقِف، فأَبْعَدَهُ عَنْهُ

ودَفَعَه، ورَكَلَهُ حَتَّى أَوْقَعَه، وقَالَ: تَـبّاً لَكَ مِنْ نَاقِص، وخُنْفُسٍ مُقَـزِّزٍ رَاقِص، ولَوْلا المَلامَـةُ والتَّعْنِيْـف، لأَدْخَلْـتُ رَأْسَـكَ في الكَنِيْـف، أَلاَ سُحْقاً لِـجِنْسِكَ المَمْسُوْخ، ولِصَدْرِكَ النَّـاتِيءِ المَنْفُـوْخ، ثُـمَّ جَذَبَـهُ مِـنْ سَلْسَالِه، وتَلَّهُ مِنْ حِزَامِ بِنْطَالِـه، وقَذَفَـهُ خَـارِجَ المَكَـان، وتَبِعَتْـهُ مِنْـهُ بَصْقَـتَان، وصَاحَ: العُنُوْسَةُ والبَوَار، ولا الاصْطِلاءُ بِالعَار.

وحِيْنَمَـا اشْرَأَبَّتْ نَفْسُهُ الـجَائِشَة، أَقْسَمَ أَنْ يُؤَدِّبَ أُخْتَهُ الطَّائِـشَة، وأَخَذَتْهُ نَشْوَةُ المَرَاجِل، فزَوَّجَها (كُوْمَارَ) النَّـادِل، وقـالَ لَـها: رَجُـلٌ مُكْتَمِلٌ وَضِيْع، ولا خُنْفُسٌ ذُو حَسَبٍ رَفِيْع، ويَوْمَ لامَهُ أَبُوْه، أَنْـشَدَ لا فُضَّ فُوْه:

فَـدَيْتُكَ لا تَعْجَـلْ بِلَـوْمِيَ يَـا أَبِي وَلُمْ أُخْتِـيَ الرَّعْنَـاءَ إنْ كُنْـتَ لائـما
أَتَاهـا مِـنَ الــخُطَّابِ كُـلُّ مُبَجَّـلٍ فَلَـمْ تَبْـغِ إلاّ أَمْلَـسَ الـخَدِّ نَـاعِما
يُغَنِّــي، وَإنْ غَنَّتْــهُ بَــادَرَ رَاقِــصاً وَيَشْهَقُ رُعْبـاً لَـوْ رَأَى الفَـأْرَ قَادِمـا

وَيَلْبَسُ بِنْطَالاً وَيَمْضَغُ عِلْكَةً   وَيَكْسُو الحُلَى أَقْدَامَهَ وَالمَعَاصِما

فَطُفْتُ مَقَاهِي الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُهُ   لِتِلْكَ الصِّفَاتِ الآنِفَاتِ مُوَائِما

وَأَمْعَنْتُ فِيْهِ الطَّرْفَ أَسْبُرُ نَوْعَهُ   أَأُنْثَى أَرَى؟ لا، رُبَّمَا كُنْتُ وَاهِما!

وَرَاقَبْتُهُ كَي أَسْتَبِيْنَ فِعَالَهُ   فَأَبْصَرْتُ مِنْهُ الفَاجِعَاتِ القَوَاصِما

تَسَلَّلَ صُرْصَارٌ إِلَيْهِ فَرَاعَهُ   وَأَجْرَى مِنَ البِنْطَالِ وَالعَيْنِ سَاجِما

فَلَمْ أَتْرُكِ الصُّرْصَارَ حَتَّى سَحَقْتُهُ   فَأَغْنَمَنِي بِاسْمِ الدُّعَاءِ المَغَارِما

يَقُوْلُ: إِلَهِي هَبْهُ عِطْراً وَصِبْغَةً!   وَلا تُرِهِ فَأْراً مَتَى كَانَ نَائِما!

وَرَامَ احْتِضَانِي وَيْلَهُ مِنْ مُشَوَّهٍ   فَقُمْتُ إِلَيْهِ ضَارِباً فِيْهِ شَاتِما

وَأَقْسَمْتُ أَنْ أَقْتَادَ أُخْتِي لِمَا أَرَى   فَزَوَّجْتُها وَافِي الرُّجُوْلَةِ حَازِما

وَوَاللهِ لا أَرْضَى لَهَا المِسْخَ سَيِّداً   وَأَرْضَى لَهَا (كُوْمَارَ) لَوْ كَانَ خَادِما

لَعَمْرُكَ مَا الأُنْثَى تَذُوْبُ مُيُوْعَةً   بِأَغْنَجَ مِنْ مِسْخٍ يُهِيْنُ المَكَارِما

١٣ – «أَفْرَغُ مِنْ ذَاتِ عَمُوْد»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ فَتَكَ بِهِ الفَرَاغ، وضَاعَ عن هَدَفِهِ وزَاغ، والعَمُوْدُ زَاوِيَةٌ في جَرِيْدَة، يَحْتَوِي تَافِهَ الرَّأْيِ ومُفِيْدَه، وقَدْ تَكَالَبَتْ عَلَيْهِ النِّسَاء، الحَصِيْفَةُ مِنْهُنَّ والبَلْهَاء.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً قَضَى عَلَيْهِ التَّخَصُّص، بأنْ يُدِيْمَ عَلَى كِتَابَاتِهِنَّ التَّلَصُّص، فأَشَارَ عليهِ مَنْ إشَارَتُهُ سَخِيْفَة، بأنْ يَشْتَرِكَ في أَكْثَرَ مِنْ صَحِيْفَة، فَاضْطُرَّ إلى تَحْلِيْلِ ثَمَنِ الاشْتِرَاك، بَعْدَ أنْ وَقَعَ في الأَشْرَاك، فرَاحَ يَقْرأُ كُلَّ عَمُوْد، ويُصْغِي لِكُلِّ نَغْمَةِ عُوْد.

وبَيْنَمَا هُوَ يُقَلِّبُ الصَّفحَات، ويُرَجِّعُ الآهَاتِ والزَّفَرَات، صَادَفَ أكْثَرَ مِنْ زَاوِيَة، ونَخْلَةٍ جَرْدَاءَ ذَاوِيَة، ولَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ زَائغَة، يَقْرَأُ لِكُلِّ فَارِغَة، فلَمْ يَظْفَرْ بِسَمِيْن، ولا عِقْدٍ ثَمِيْن، ولَمْ يَجِدْ إلاّ الضَّجِيْج، وشِبْهَ فَوْضَى الحَجِيْج، هَذِهِ تُطَالِبُ بِالمُسَاوَاةِ المُطْلَقَة،

وتَـمْضِي في لَـجَاجِهَا مُنْطَلِقَة، وتِلْكَ تَـهْذِي بِشِعْرٍ مَكْسُور، وتَفْتَـرِي عَلَى ابْنِ مَنْظُور، وأُخْرَى تَكْتُبُ خَاطِرَةً بَارِدَة، وتَـرَى أَنَّـها في القِـصَّةِ رَائدَة، ورَابِعَةٌ تُـبَاهِي بِالـحِكَمِ الـوَرَى، وبِجَانِبِهـا تَقْـوِيْمُ أُمِّ القُـرَى، وخَامِسَةٌ تَـتَّهِمُ الرِّجَال، بِأَنَّـهُمْ سَبَبُ الوَبَـال، وسَادِسَـةٌ تَـزْعُمُ أَنَّـها تَـمْتَلِكُ طَاقَةً نَوَوِيَّـة، وتُطَالِـبُ بِـها هَيْئَـةُ الطَّاقَـةِ الدَّوْلِيَّـة، وسَـابِعَةٌ تَـجْرِي مُـخْتَالَةً مَعَ المَوْضَة، وتُعْلِنُ انْضِمَامَ ابْنِها إلى الرَّوْضَـة، وثَامِنَـةٌ تَسْتَعْرِضُ بِأَسْفَارِها، وتَرْوِي سَخِيْفَ أَخْبَارِها، وتَاسِعَةٌ تُـخْبِرُ أَنَّـها رُوْمَنْسِيَّة، ومَفْتُوْنَةٌ في المُوْسِيْقا الإِيْطَالِيَّة، وعَـاشِرَةٌ تَـشْكُو المُـضَايَقَةَ في السُّوْق، وعَارِفُهَا يُفَضِّلُ عَلَيْها النُّوْق، وثَمَّـةَ مَـنْ تَـصِفُ عَـشَاءَها في بَرْشَلُوْنَة، وهيَ قَابِعَةٌ في البَيْتِ تَأْكُـلُ تُوْنَـة، وهَكَـذا دَوَالَيْـكَ تَفَاهَـة، وهَلُمَّ سُخْفاً وفَهَاهَة.

فَاسْتَرْجَعَ الرَّجُلُ وَحَوْقَل، وبَكَى عَلَيْهِنَّ وَأَعْـوَل، ثُـمَّ أَغْلَـقَ مـا بَيْنَ يَدَيْه، وَأَنْشَدَ والدَّمْعُ مِلْءُ عَيْنَيْه:

إِلَـهِيَ أَلْقَانِي التَّخَصُّصُ في الضَّنى وَأَرْهَقَني حِرْصِي وَطُوْلُ صُـمُوْدي

وَغَـيْرِي قَرِيْـرٌ نَـائمٌ في فِرَاشِـهِ ويَـحْظَى بِـمَا يَرْجُـوهُ دُوْنَ جُهُـوْدِ

يَظَـلُّ مـعَ الآمَـالِ أَكْثَـرَ رَاحَـةً وأَفْـرَغَ مـن حَمْقَـاءَ ذَاتِ عَمُـوْدِ

أُتِيْحَ لَـهَا مَـا لَـمْ يُـتَحْ لِـمُحَنَّكٍ فَقَـاءَتْ سَـخَافَاتٍ بِكُـلِّ بُـرُوْدِ

وَشَجَّعَهَا مَنْ لَـيْسَ يَفْقَـهُ هَـذْرَهَا فَكَـمْ مِـنْ ذِئـابٍ صَـفَّقَتْ وَقُـرُوْدِ

فَلَوْ أَنَّنِي أُنْثَـى لَـهَانَتْ مَتَـاعِبِي وَطَبَّـلَ لي طَبْـلٌ وضـارِبُ عُـوْدِ

وَلَكنَّني –وَا طُوْلَ خَيْبَتِـيَ– امْـرُؤٌ لَـهُ شَـارِبٌ كَـثٌّ، وَشَـعْرُ خُـدُوْدِ

١٤ – «أَفْقَرُ مِنْ أَدِيْب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَرْبَى بِهِ الفَقْرُ عَنْ حَدِّه، فبَاعَ بالبَخْسِ ثَوْبَ أَبِيْهِ وجَدِّه، والأَدِيْبُ رَجُلٌ مُنْشَغِلٌ بِما يَنْفَعُ النَّاس، ولا يَحْظَى بِغَيْرِ الهَوَانِ والإِفْلاس.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً انْصَرَفَ إلى الأَدَب، وجَدَّ في تَحْصِيْلِ فُنُوْنِهِ وطَلَب، فلَمَّا فَاقَ وبَرَع، وابْتَكَرَ واخْتَرَع، رَأَى أَقْرَانَهُ يَتَبَوَّؤوْنَ المَنَاصِب، وهوَ وَحْدَهُ في الهَمِّ نَاصِب، هُوَ يَجْمَعُ النُّخَب، وهُمْ يَجْمَعُوْنَ الذَّهَب، ويَنْظِمُ القَصَائد، ويُنَظِّمُوْنَ المَوَائد، ويُبْدِعُ الرِّوَايات، ويَبْتَدِعُوْنَ الهِوَايات، ويَنْقُدُ الأَعْمَال، ويَنْتَقِدُوْنَ المَال.

فلَمَّا رَأَى ضَيْعَةَ حَالِه، وفَقْرَه وسُوْءَ مَآلِه، مَزَّقَ كُتُبَهُ وأَوْرَاقَه، وأَقْسَمَ أنْ يُوَدِّعَ الفَاقَة، فاقْتَرَضَ مِنْ ذَوِيْهِ دُرَيْهِمَات، ووَضَعَها في

المُسَاهَمَات، فمَا إنْ فَـتَحَ طَرْفَهُ وأَغْمَض، إلاّ وقَدْ أُكِلَ كالثَّوْرِ الأَبْـيَض، وما كَرَّ عَلَيْهِ يَوْمَان، إلاّ وهوَ أَفْقَرُ مِـمَّا كَـان، فـأَدْرَكَ أنَّـهُ مَنْحُـوْس، لا تَنْفَعُهُ الدُّرُوْس، فعَادَ إلى حِرْفَتِه، وأَنْشَدَ مِنْ حُرْقَتِه:

لَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا العَـيْشَ دَهْـراً فَلَـمْ أَرَ قَـطُّ أَفْقَـرَ مِـنْ أَدِيْـبِ

نَشَأْتُ عَلَى التَّأَدُّبِ مِـنْ قَـدِيْمٍ وَهَـا قَـدْ لاحَ لِلرَّائـي مَـشِيْبي

سِنُوْنَ مَضَتْ أَصُوْغُ بِـهَا الـلآلِي وَأَنْثُـرُ مِـنْ فُنُـوْنِي كُـلَّ طِيْـبِ

أُسَامِرُ لَيْلَتِي بِـصَدَى القَـوَافِي وأَصْـحُو مِثْـلَ مُبْتَـئسٍ كَئِيْـبِ

أَجُوْعُ فَـآكُلُ النُّخَبَ السَّوامِي وإنْ أَظْمَـأْ فَمِحْبَـرَتِي قَلِيْبِـي

وَيَبْلَى الثَّوْبُ ذُو التِّسْعِيْنَ فَتْقـاً فَيَـبْدُو مِـنْ نَوَافِـذِه مَعِيْبِـي

وَلِي كُـوْخٌ تَفِـرُّ الـجِنُّ مِنْـهُ وَلا يَـدْنُو إلَيْـهِ أَيُّ ذِيْـبِ

وَغَيْرِي هَانِئٌ في خَفْضِ عَيْشٍ يُطِـلُّ عَـلَيَّ مِـنْ قَـصْرٍ مَهِيْـبِ

وَيَرْمُقُنِــي بِنَظْرَتِــهِ احْتِقَــاراً وَإِنْ سَلَّمْتُ لَــمْ أَرَهُ مُــجِيْبِي

وَمَـــا فِي رَأْسِـــهِ إلا هَبَـــاءٌ وَلَكِنْ لا اعْتِرَاضَ عَلَى النَّـصِيْبِ

فَيَــا دُنْيَــا رَجَوْتُــكِ عَــذِّبِيْنِي وَيَــا آلامُ وَيْـــحَكِ لا تَغِيْبِــي

١٥ – «إنَّ الغِنَى في الكُرَة»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَضْنَاهُ الكَدّ، وبَذَلَ في نَيْلِ العُلُوْمِ وجَدّ، حَتَّى إذا اسْتَوَى عُوْدُه، ذَوَى مِنَ الخَيْبَةِ عُوْدُه، وكَانَ حَظَّه الإفْلاسُ والتَّحْطِيْم، وفَازَ مَنْ دُوْنَهُ بِالثَّرَاءِ والتَّقْدِيْم، والكُرَةُ لُعْبَةٌ يَحْتَرِفُها الصِّغَار، ومَنْ ذَهَبَ مِنْ عَقْلِهِ الوَقَار، وطَالَمَا تَابَعَها حَبِيْسُ الفَرَاغ، ورُبَّمَا دَعَمَها خَاوِي الدِّمَاغ، وهيَ في الأَصْلِ نَشَاطٌ مَقْبُوْل، إلاّ إذا زَادَتْ عَنِ المَعْقُوْل، وقَدْ بَالَغَتْ في رِعَايَتِها جِهَات، وأُضِيْعَتْ فِيْها الأَمْوَالُ والأَوْقَات، واخْتَصَمَ بِسَبَبِها الجَاهِلُ والغَافِل، وغَيْرُهُما يَصْنَعُ الصَّوَارِيْخَ والقَنَابِل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ عُضْوَ هَيْئَةِ تَدْرِيْس، نَالَ شَهَادَةَ الدُّكْتُوْرَاهِ مِنْ بَارِيْس، وكَانَ قَدْ تَخَصَّصَ في عِلْمِ الذَّرَّة، بَعْدَ أَنْ أَفْنَى في الاغْتِرَابِ عُمْرَه، فعَادَ إلى وَطَنِهِ مَنْشُوْرَ الجَنَاح، وظَنَّ أَنْ قَدْ آنَ لَهُ أَنْ يَرْتَاح،

ويُكْفَى مَرَارَةَ الأَيَّـامِ الـــخَالِيَة، بِـما يَلِيْـقُ بِـشَهَادَتِهِ العَالِيَـة، فارْتَقَـبَ التَّكْرِيْمَ أَيَّ ارْتِقَاب، وتَـحَفَّزَ لِـمَلْءِ يَدَيْهِ والـجِرَاب، وحَلُمَ بِمَنْـــزِلٍ يُلائمُ مَنْـزِلَــتَه، ورَاتِـبٍ جَـزْلٍ يُبَـــرِّدُ غُلَّتَـه، فلَـــمَّا أَلْقَـى في جَامِعَتِـهِ بِرِحَالِه، جَرَى لَهُ مَا لَـمْ يَـجْرِ في بَالِه، إذْ لَـمْ يُبَارِكْ لَهُ رَفِيْعُـو المَكَانَـة، ولَـمْ يَسْتَقْبِلْهُ سِوَى عَامِلِ الصِّيَانَة، وظَلَّ شُهُوْراً يُرَاجِعُ عِمَادَتَه، إلى أَنِ اعْتَمَدُوا شَهَادَتَه، وأُجْرِيَ لَهُ رَاتِبٌ يَغْبِنُ القَنُوْع، لا يُـسْمِنُ ولا يُغْنِـي مِنْ جُوْع، يُـجْرَى مِثْلُـهُ عَـلَى الفَـرَّاشِ الـــجَاهِل، ولا يَـــخْتَلِفُ عَـنْ رَاتِبِ المُرَاسِل، وحِيْنَ أَبَانَ عَنِ الغَبْنِ وَجَلاَ، قِيْلَ لَهُ: البَابُ يَسَعُ جَمَلا، فأَغْمَضَ عَلَى غَبْنِهِ عُيُوْنَه، وظَلَّ يُسَدِّدُ لِلْغُرَمَاءِ دُيُوْنَه، واسْتَأْجَرَ مَنْـزِلاً مِنَ الفَـرَّاش، وقَـسَّطَ مَرْكَبَـةً كَثِـيْرَةَ الارْتِعَـاش، ومَـضَى يُـــخْلِصُ في التَّدْرِيْس، ويُوْلِي بُحُوْثَهُ الـجُهْدَ النَّفِيْس.

وحَدَثَ في يَـوْمٍ كَثِـيْرِ العَمَـل، أَنْ أَصَـابَ المَغْبُـوْنَ بَعْـضُ المَلَـل، فتَوَقَّفَ عَنْ مُوَاصَـلِةِ إنْجَـازِه، واسْـتَرْخَى في مُـشَاهَدَةِ تِلْفَـازِه، فتَـابَعَ

حَفْلاً مُـحْتَشِدَ الأُمَم، لِفَرِيْقٍ فَازَ فِي كُرَةِ القَدَم، وشَاهَدَ جُمْلَةَ الوُجَهَـاءِ والمَسْؤُوْلِيْن، وهُمْ يَتَنَافَسُوْنَ فِي احْتِضَانِ اللاّعِبِيْن، ورَآهُمْ يُقَلِّدُوْنَــهُمُ الأَوْسِمَة، ويُكَافِئوْنَـهُمْ بِالـهِبَاتِ المُتْخِمَة، ثُمَّ بَـادَرَ ذَوُو الاسْـتِعْرَاضِ والثَّرَوَات، ومَنَحُوْهُمْ أَفْخَمَ القُصُوْرِ والمَرْكَبَات، ثُمَّ وَثَبَ مِنَ المُقَدِّمَـةِ وَاثِب، وعَـرَضَ المَلايِـيْنَ فِي شِرَاءِ لاعِب، فزَادَ عَـلَى سَـوْمِهِ ذُو عَبَـاءةٍ سَمِيْن، وقَدَ ضَاعَفَ لَـهُمْ عَدَدَ المَلايِـيْن.

وأَثْنَاءَ مَا كَانَ الـحَفْلُ عَلَى أَشُدِّه، فَقَدَ صَاحِبُنا المَغْبُوْنُ كُلَّ رُشْـدِه، وهَشَّمَ تِلْفَازَهُ بِمِحْبَـرَةٍ أَمَامَه، وقَامَ يَـجْرِي طَيْشاً كَالنَّعَامَة، ولَـمْ يَعُـدْ يُسَيْطِرُ عَلَى ذَاتِه، وبَلَّ فِي المَاءِ شَـهَادَاتِه، ثُـمَّ ارْتَـدَى مَلابِـسَ رِيَاضَـة، وأَكْمَلَ فِي الشَّارِعِ تَرْكَاضَه، وكَانَ وهوَ يَـجْرِي يَصِيْح، ويُنْشِدُ بِصَوْتٍ فَصِيْح:

يَا مُنْكِراً رَكْضِيَ وَيْكَ الْتَمِسْ ... عُذْراً، فَعَقْلِي فَاقِدٌ رُشْدَهْ

أَمَا تَرَانِي لابِساً بِزَّةً ... لابِسُهَا يَبْنِي بِهَا مَجْدَهْ؟

وَيَجْتَنِي التَّكْرِيْمَ مِنْ سَادَةٍ ... يُنِيْلُهُ كُلُّهُمُ رِفْدَه

وَلَوْ رَأَوا مِثْلِي امْرَأً عَالِماً ... يَرُوْمُ وَصْلاً صَفَعُوا خَدَّهْ

أَرْهَقَنِي دَيْنِي وَطُلاّبُهُ ... وَرَاتِبِي لا يَمْلأُ المِعْدَةْ

وَمَنْزِلِي البَائِسُ مُسْتَأْجَرٌ ... مِنْ جَاهِلٍ كَمْ أَتَّقِي طَرْدَهْ

يَعْمَلُ عِنْدِي فِي الضُّحَى خَادِماً ... ثُمَّتَ أُمْسِي خَادِماً عِنْدَهْ

وَأَمْتَطِي مَرْكَبَةً عَاصَرَتْ ... نُوْحاً، وَحَتْماً أَدْرَكَتْ جَدَّهْ

طَحَالِبُ الطُّوْفَانِ فِي مَتْنِها ... عَالِقَةٌ لَمْ تَمْحُهَا المُدَّةْ

وَإِنْ أَتَى الصَّيْفُ تَدَيَّنْتُ مِنْ ... أَقَارِبِي وَاصْطَفْتُ فِي جُدَّةْ

وَهِمْتُ فِي البِيْدِ بِرَعَّاشَةٍ ... كَأَنَّهَا تَشْكُو مِنَ الرِّعْدَةْ

وَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ فَكَمْ لاعِبٍ ... لا يَعْرِفُ الضَّمَّةَ وَالشَّدَّةْ

تُبْـــصِرُهُ يَرْفُـــلُ في نِعْمَـــةٍ وَيَأْكُـــلُ اللَّحْمَـــةَ وَالزُّبْـــدَةْ

وَيَمْلِكُ الـدُّوْرَ، ولا يَمْتَطِـي إلاّ جَدِيْـــداً بَـــالِغَ الــــجِدَّةْ

يَـــا بُعْـــدَ أَنْ يَـــصْطَافَ إلاّ إذَا خَــصُّوْا لَــهُ طَـــائِرَةً وَحْـــدَهْ

فَـــتَارَةً يَـــصْطَافُ في لَنْـــدَنٍ وَتَـــارَةً يَقْـــصِدُ أُوْغَنْـــدَةْ

فَارْكُـلْ شَـهَادَاتِكَ إنَّ الغِنَـى في الكُـرَةِ الْمَرْكُوْلَـةِ الــجِلْدَةْ

وَالْعَـبْ كَمَعْتُـوْهٍ بِـهِ جِنَّـةٌ وَقَلِّـــدِ الــــهِرَّةَ وَالقِـــرْدَةْ

وَوَدِّعِ الـحِـشْمَةَ تَـــبّاً لَـــهَا وَلامْـــرِئٍ يَأْخُـــذُهَا عُـــدَّةْ

فَحِيْنَـــهَا تُــصْبِحُ ذَا ثَـــرْوَةٍ وَيَصْطَفِيْكَ الـشَّيْخُ وَالعُمْـدَةْ



١٦ – «بَوَارٌ وَلا بَوَارُ الفَصِيْح»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ قَعَدَ بِهِ حَظُّه، وارْتَدَّ عَلَيْهِ في الضِّيَاءِ لَحْظُه، وكَانَ ذَا حَسَبٍ واقْتِدَار، ورَايَةٍ لا يُشَقُّ لَها غُبَار، والفَصِيْحُ نَعْتٌ لِمُضْمَرٍ ضَامِرٍ، تَقْدِيْرُهُ: الشِّعْرُ أَوِ الشَّاعِر.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً فَتَحَ اللهُ عَلَيْه، وجَعَلَ الشِّعْرَ طَوْعَ لِسَانِهِ ويَدَيْه، وكَانَ في زَمَنٍ كَثُرَ فيهِ اللُّكَنَاء، وغَلَبَ أَمْرُهُمْ عَلَى الفُصَحَاء، فكَانَ كُلَّمَا أَنْشَدَ شَيْئاً مِنْ شِعْره، أُلْقِمَ حَجَراً في ثَغْرِه، وكُلَّمَا بَعَثَ قَصِيْدَةً إلى المَجَلات، وضَعُوْها في سَلَّةِ المُهْمَلات، وكُلَّمَا غَنَّى بِشِعْرِه عِلْيَةَ القَوْم، أَسْلَمُوا عُيُوْنَهُمْ لِلنَّوْم، وَسِوَاهُ يَحْظَى بِأَثْمَنِ الجَوَائز، حِيْنَ يَرْطُنُ رَطَانَةَ العَجَائز، ويُقَدَّمُ في كُلِّ المُنَاسَبَات، وهوَ يُرْمَى عَلَى العَتَبَات.

وقدْ ضَاعَفَ مِنْ هَمِّه، وزادَ في ضُمُوْرِهِ وسُقْمِه، أنَّ لهُ ابْنَـةً اسْـمُها دَلال، وكانَتْ آيةً في الـجَمَـال، وتَـتَنَاقَلُ صِفَاتِـها الأَلْسِنَة، بَيْـدَ أنَّـــها بَلَغَتْ ثَلاثِـيْنَ سَـنَة، ولَـــمْ يَطْـرُقْ بَابَـــها خَاطِـب، ولا اقْتَـــرَبَ مِـنْ شَجَرَتِـها حَاطِب، وكانَتْ لَـها جَارةٌ قَبِيْحَةُ الـشَّكْل، عُرِفَـتْ بِـــبَذَاءةِ القَوْلِ والفِعْل، وصِيْتُها سَـيِّءٌ خَامِل، وفي وَجْهِهـا ثَــآلِيْلُ ودَمَامِـل، وليسَ لَـها عَنِ النَّاسِ حِجَاب، وخُطّابُـها حَوْلَـها مِنْ كُلِّ بَاب، فَمُـذْ رَأَى الشاعرُ فَلْذَةَ كَبِـدِه، تَبْكِـي لِكَمَـدِها وكَمَـدِه، رَبَـتَ عَـلَى كَتِفِهـا وذَهَب، وأَحْضَرَ الدَّوَاةَ وكَتَب:

اسْفَحِي يـا دَلالُ دَمْعَـكِ وابْكِـي ... وتَــشَكَّي جَــوْرَ الزَّمَــانِ القَبِــيْحِ

خَفِّفِــي بِالبُكَــاءِ حُزْنَــكِ هَــذا ... وَأَرِيْـحِيْنِي مِنْ ضَنىً وَاسْتَـرِيْـحي

بَــادِلِيْنِي الــشَّجَا أُبَادِلْـكِ ضِـعْفاً ... لَيْسَ يَـجْرِي السَّفِيْنُ مِنْ غَيْــرِ رِيْـحِ

وَهَلُمِّــي إِلَـــيَّ نَــشْكُ انْتِكَاســاً وَجُـمُوْداً مِـنَ النَّـصِيْبِ الـشَّحِيْحِ

فَكِلانَــا لَـهُ مُـصَابٌ، وَيُـــخْفِي فِي حَـــشَاهُ أَنِـــيْنَ قَلْـــبٍ جَـــرِيْحِ

يَقْعُدُ الـحَظُّ بِالـــجَدِيْرِ! ويَـسْعَى بِالأَمَانِي الـحِسَانِ نَحْـوَ الكَـسِيْحِ!

رَدِّدِي مِـــثْلِي: إِنَّنَـــا فِي زَمَـــانٍ ذَائـــدٍ عَـــنْ نَطِيْحَـــةٍ وَنَطِـــيْحِ

يَـــا كَـــسَاداً وَلا كَـــسَادَ دَلالٍ! وَبَـــوَاراً وَلا بَـــوَارَ الفَـــصِيْحِ!



١٧ – «تَأَنَّثْ أَنْتَ في زَمَنِ الإنَاث»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ جارَ عَلَيْهِ زَمَانُه، وهَوَى بِهِ مِنْ عَلْيَائهِ مَكَانُـه، واسْتَلَبَ مَنْ دُوْنَهُ سَيْفَهُ وغِمْدَه، وصَارَ فَضْلَةً وقَدْ كَانَ عُمْدَة، وزَمَـنُ الإنَاثِ عَصْرٌ وَاهي الـهَيْبَة، يُـجَرِّرُ رِجَالُهُ أَذْيَالَ الــخَيْبَة، فِيْـهِ النِّـسَاءُ مُسَيْطِرَة، وتَلْبَسُ جِلْدَ القَسْوَرَة.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ حَكِيْماً في زَمَنٍ غَابِر، كَـبَا بِهِ في الـهَوَانِ حَظٌّ عَـاثِر، فعَاشَ في عَصْرٍ رَدِيْءٍ رَثّ، الأَمْرُ والنَّهْيُ فيهِ للمُؤَنَّث، رِجَالُـهُ سُـلِبُوا سُلْطَةَ القِوَامَة، وأُلْقُوا عَلَى أَعْقَابِـهِمْ في القُمَامَة، وصَـارَتِ النِّـسَاءُ فيـهِ مُـسْتَـرْجِلات، وفي مَيَـادِيْنِ الوَقَاحَـةِ صَـائلات، يَلْهَجْـنَ بِالمُـسَاوَاةِ والتَّحْرِيْر، وعُقُوْلُـهُنَّ أَرَقُّ مِنْ قِطْمِيْر، لَــهُنَّ أَلْـسِنَةٌ مِثْـلُ الأَسْـيَاف، وأَقْلامٌ تَنْفُثُ السُّمَّ الزُّعَـاف، نَـازَعْنَ الرِّجَـالَ في الــحُقُوْق، وأَبْـدَيْنَ لَـهُمْ أَعْظَمَ العُقُوْق، وَبطَشْنَ فِيْهِمْ بَطْشَ الـحَجَّاج، ونَادَيْنَ إلى تَعَـدُّدِ

الأَزْوَاج، وتَطَلَّعْنَ إلى المَنَاصِبِ الـحَسَّاسَة، ولَـمْ يَسْلَمْ مِنْهُنَّ كُرْسِـيُّ الرِّئاسَة، وأَوْكَلْنَ بُيُوْتَـهُنَّ إلى الـخَادِمَات، وهِــمْنَ عَـلَى وُجُـوْهِهِنَّ مُطَالِبَات، تَدْفَعُهُنَّ الغَيْرَةُ والمُشَاكَسَة، وما ثَـمَّ وُجُـوْهٌ لِلْمُنَافَسَة، وفي التَّظَلُّمَاتِ يَـرْدَحْنَ بِـالرَّقْص، يَـحْمِلُهُنَّ إلَيْهـا الإحْـسَاسُ بِـالنَّقْص، تَـتْرُكُ إحْدَاهُنَّ المَطْبَخَ والتَّـنُّوْر، ثُـمَّ في حَلْقَـةِ الفَـرَاغِ تَـدُوْر، وحِـيْنَ تَلْسَعُها الزَّنَابِيْر، تَقُوْلُ: رِفْقاً بِالقَوَارِيْر.

ومِـمَّا زَادَ مِـنْ هَمِّـهِ وأَشْـجَاه، أنَّ رِجَـالَ عَـصْرِهِ أَشْـبَاه، فكَـانُوا يُسَايِرُوْنَـهُنَّ ويُـجَارُوْن، ويُمْـسِكُوْنَ لَـهُنَّ المَـاعُوْن، وهُـنَّ يَقْـذِفْنَ عَلَيْهِمْ بِالقَلِيْل، ويُـهَدِّدْنَـهُمْ بِالصُّرَاخِ والعَوِيْـل، فـنِلْنَ بِـذَلِكَ أَرْقَـى الوَظَائف، واجْتَنَيْنَ أَحْلَى ما يَـجْتَـنِيْهِ قَاطِف، وإذا رَضِـيْنَ عَـلَى رَجُـلٍ رَفَعْنَه، وإنْ سَخِطْنَ عَلَى آخَرَ وَضَعْنَه، ولَـمْ يَنَلِ الرِّجَالُ عَالِيَ الرُّتَـب، إلاّ إذا رَبَطَهُمْ بِالكَرِيْمَاتِ نَسَب، وأَصْـبَحَ لِلـضَّمِيْرِ المُؤَنَّـثِ المُـسْتَـتِر، أَشَدُّ مِنْ تَأْثِيْـرِ الـسَّاحِرِ الأَشِر، ولَــمْ يَعُـدْ لِلرَّجُـلِ قِيْمَـة، مِثْلُـهُ مِثْـلُ

البَهِيْمَة، فلَوْ تَأَخَّرَ عَنِ الاحْتِرَاث، لَطُلِّـقَ مِنْ فَوْرِهِ بِالثَّلاث، وحَـدَثَ أنْ ثَارَ ثُلَّةٌ أَبْطَال، ونَادَوا بِـبَعْضِ حُقُوْقِ الرِّجَال، وطَمِعُوا بِـشَيْءٍ مِـنَ المُوَاسَـاة، ولَـمْ يَتَطَلَّعُـوا قَـطُّ إلى المُـسَاوَاة، فتَـرَبَّصَ بِـهِم بَنَـانٌ مَـخْضُوْب، وأَبَادَهُمْ بَيْنَ مَشْنُوْقٍ ومَصْلُوْب.

أمّـا الـحَكِيْمُ فهَجَـرَ عَـصْرَهُ ومـا فيـه، وانْـشَغَلَ عنـهُ بِتَـصَانِيْفِهِ وقَوَافِيْه، وكَانَ مِنْ ذائعِ مُؤَلَّفَاتِه، ونَافِعِ حِكَمِـهِ ولَفَـتَاتِه:، «مَـا فَـاتَ الـجَمَـاعَة، مِـنْ عَلامَـاتِ الـسَّاعَة،» و«اسْتِـنْـسَارُ البُغَـاث، في دَوْلَـةِ الإنَاث،» و«بُلْغَةُ الغَرْثَى، فِيْمَنْ رَفَعَتْهُ أُنْثَى،» ولَهُ مِنَ القَوَافي الـسَّيَّارَة، نُخَبٌ وَافِرَةٌ مُـخْتَارَة، ومِنْ أَشْهَرِ مَا وَشَّاه، قَوْلُهُ رَحِمَهُ الله:

أَيَـا مُرْخِـي شَـوَارِبَهُ اخْتِيَـالاً   تَأَنَّـثْ أَنْـتَ في زَمَـنِ الإنَـاثِ
أَتَـى زَمَـنٌ تُعَـدِّدُ فِيْـهِ أُنْثَـى!   وإنْ تَغْـضَبْ تُطَلِّـقْ بِـالثَّلاثِ!

زَمَانٌ مِثْلُ ذَا زَمَنٌ رَدِيْءٌ   يَطِيْبُ لِمَنْ يَعِيْشُ بِلاَ اكْتِرَاثِ

تُسَيِّرُنَا بِهِ مُسْتَرْجِلاتٌ   جَثَثْنَ شُمُوْخَنَا شَرَّ اجْتِثَاثِ

وَمِنْ عَجَبِي يُسَانِدُهُنَّ قَوْمٌ   يُسَارُ بِهِمْ كَثِيْرَانِ احْتِرَاثِ!

زَمَانِي شُهْتَ مِنْ زَمَنٍ قَبِيْحٍ   يَذِلُّ النِّسْرُ فِيْهِ لِلْبُغَاثِ

فَلَوْ عَصْرِي كَعَصْرِ أَبِي وَجَدِّي   لَمَا وَلْوَلْتُ فِي هَذِي المَرَاثِي

فَيَا لَلَّهِ مَا أَشْقَى زَمَانِي   وَأَكْثَرَ مَا أَحِنُّ إِلَى تُرَاثِي

١٨ - «جَنَى عَلَيْهِ الـجِوَار»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الأَذَى غَـيْرِ المُـتَوَقَّع، وفي الـضَّرَرِ مِمَّـنْ يَـخَالُهُ النَّاسُ يَنْفَع، والـجِوَارُ قُرْبُ الدَّارِ مِنَ الدَّار، وجَاوَرَ الرَّجُلُ قَوْماً فهـوَ جَار، ولِلْجِوَارِ آدَابٌ وسُنَن، يَقُوْمُ بِحَقِّها مَنْ فَطَـن، وثَمَّـةَ مَـنْ يُغْفِـلُ تِلْكَ الـحُقُوْق، ويُرِي جِيْرَانَهُ كُلَّ العُقُوْق، فيُطْلِقُ صِبْيَتَهُ كَالنِّعَـاج، أَوْ يُسْمِعُهُمْ مِنْهُ الإزْعَاج.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً نَـهَاهُ الثِّقَات، أَنْ يُـجَاوِرَ مَـنْ يُـخَالِفُوْنَهُ في العَادَات، ولَكِنَّهُ لِقِلَّةِ ما في جِرَابِه، أَعْرَضَ عَنْ نُـصْحِ أَحْبَابِـه، فـسَكَنَ حَيّاً غَيْرَ مُنَظَّم، يَـجْرِي في شَـوَارِعِهِ الـدَّم، فأَغْلَـقَ بَـابَ بَيْتِـهِ عَلَيْـه، وكَفَّ أَذَاهُ عَمَّنْ حَوَالَيْه، وبَيْنَمَـا هُوَ يَسْأَلُ اللهَ اللُّطْف، إذْ طُـرِقَ بَـابُ بَيْتِهِ بِعُنْف، فاسْتَطْلَعَ الأَمْرَ في حِيْنِـه، فـإذا صَـبِيٌّ يُـشِيْرُ بِـسِكِّيْنِه، وفي وَجْهِهِ جُرُوْحٌ وحُرُوْق، وثَوْبُهُ عَلَى المَتْنِ مَـشْقُوْق، ثُـمَّ أَمَـرَهُ مِـنْ غَـيْرِ

مَعْذِرَة، أَنْ يُحْضِرَ مِنْ فِنَائِهِ الكُرَة، فلَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنْ إخْبَارِ أَبِيْه، عَمَّا رَآهُ مِن ابْنِهِ السَّفِيْه، فرَمَقَهُ الأَبُ وهوَ جَاحِظُ العُيُوْن، وصَاحَ في وَجْهِهِ: صِبْيَةٌ يَلْعَبُوْن، وفي اليَوْمِ الثَّاني خَرَجَ الجَار، فوَجَدَ مَرْكَبَتَهُ عَلَى الأَحْجَار، إطَارَاتُها الأَرْبَعَةُ مَسْلُوْبَة، وزُجَاجَتُهَا الخَلْفِيَّةُ مَثْقُوْبَة، وفي اليَوْمِ الثَّالِثِ أَقْبَلَ وَلَدُه، والدِّمَاءُ يَسِيْلُ بِها جَسَدُه، وذَكَرَ أَنَّهُ تَعَرَّضَ لاعْتِدَاء، مِنْ ثَلاثَةِ صِبْيَةٍ أَشْقِيَاء، ومَرَّتِ الأَيَّامُ تِلْوَ الأَيَّام، والجَارُ يُعَانِي أَذَى اللِّئام، والآبَاءُ يُرَدِّدُوْن:، صِبْيَةٌ يَلْعَبُوْن.

وحِيْنَئِذٍ قَرَّرَ الجَارُ أَنْ يُنَازِل، ويَضَعَ حَدّاً لِهَذِهِ المَهَازِل، فلَمْ يُعَالِجِ الغَلْطَةَ بِغَلْطَة، وذَهَبَ شَاكِياً إلى الشُّرْطَة، فبَاحَ لَهُمْ بِمَا أَرَّقَ بَالَه، وأَخْبَرَ بِكُلِّ مَا جَرَى لَه، فلَمْ يَزِيْدُوا أَنْ نَظَرُوا إلَيْه، وقَالُوا والدَّمْعُ مِلْءُ عَيْنَيْه:

احْـمَدِ اللهَ عَلَى النَّجَاة، فغَيْرُكَ عَانَى أَشَدَّ المُعَانَاة، ولَيْسَ في وُسْـعِنَا يَا مَغْبُوْن، أَنْ نَرْدَعَ صِبْيَةً يَلْعَبُوْن، فإنْ شِئْتَ أَلاّ تَقُوْلَ: (لَيْت)، فَـاغْنَمِ السَّلامَةَ وبِـعِ البَيْت.

فعَلِمَ المَغْبُوْنُ أَنَّـها الغَنِيْمَة، وبَاعَ بَيْتَهُ بِرُبْعِ القِيْمَة، ثُمَّ حَمَلَ صِـغَارَهُ ومَتَاعَه، وأَنْشَدَ وهوَ يَصْلَى الْتِيَاعَه:

سَــكَنْتُ حَيّــاً رَخِيْـصاً	لَـــمَّا تَغَـــالَى العَقَـــارُ
فَكَـــانَ أَسْـــوَأَ حَـــيٍّ	سُـــكْنَاهُ بُـــؤْسٌ وعَـــارُ
لِـلَّـــهِ كَـــمْ بِـــتُّ فِيْـــهِ	وخَـــــافِقِي مُــــسْتَطَارُ
جَـــاوَرْتُ فِيْـــهِ أُنَاســـاً	الـــشَّرُّ فِـــيْهِمُ فَخَـــارُ
صِبْيَانُـــهُمْ في النَّـــوَاحِي	مُفَلَّتُــــــوْنَ نِثَـــــارُ
في وَجْـــهِ كُـــلِّ صَـــبِيٍّ	حَـــــدَائِقٌ وَقِفَـــــارُ

وفي الـــجُيُوْبِ سِــلاحٌ ومُدْيَــــــةٌ وَعُقَــــــارُ

وَإنْ تُـــــخَبِّرْ ذَوِيْــــــهِمْ عَـــــنْهُمْ يَنَلْــــكَ شَرَارُ

فكَـــمْ أُعَـــانِي أَذَاهُـــمْ وَكَـــمْ يُعَـــانِي الـــصِّغَارُ

وَنَـــالَ مَرْكَبَتِـــي مِـــنْ أَذَى الوُحُـوْشِ الـدَّمَارُ

فَلِلْوَقُـــوْدِ امْتِـــصَاصٌ وَلِلزُّجَـــاجِ انْكِـــسَارُ

وطَالَـــــمَا رَفَعُوْهَــــا وَسُـــلَّ مِنْهَـــا إطَـــارُ

قِـــدْماً نَـــهَانِي ثِقَـــاتٌ فَكَـــانَ مِنِّـــي اغْـــتِرَارُ

وهَـــا أَنَـــا بِعْــتُ بَيْتِـــي وصَارَ حَظِّـي الـخَسَارُ

فَـــدُوْنَكَمْ مَـــا دَهَـــانِي وَلْيَبْـــدُ مِـــنْكُمْ حِـــذَارُ

وَارْثُـــوا لِـــحَالَةِ جَـــارٍ جَنَـــى عَلَيْـــهِ الـــجِوَارُ

١٩ – «حِجَاجٌ وَلا حِجَاجُ بَخِيْل»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ يُغَالِطُ بِالـجَدَل، وأُوْتِـيَ بَـرَاعَةَ الـخَلْطِ والدَّجَل، فظَنَّ أَنَّ حُجَجَهُ مَسْقُوْفَةُ البُيُـوْت، وهـيَ أَوْهَـنُ مِـنْ بَيْـتِ العَنْكَبُوْت، والبَخِيْلُ مَـخْذُوْلٌ أُعْطِـيَ الفَـضْل، فبَخِـلَ وأَمَـرَ النَّـاسَ بِالبُخْل، حَرَمَهُ اللهُ مُتَعَ الـحَيَاة، ووَارِثُهُ يَتَمَنَّـى لَـهُ الوَفَـاة، يُـحِبُّ أَنْ يَكُوْنَ عَالَةً عَلَى غَيْرِه، ولا سَبِيْلَ إلى النَّيْلِ مِنْ خَيْرِه، وقَـدْ يَتَـمَادَى بِـهِ الـخِذْلان، فيَـرَى أَنَّهُ أَكْرَمُ إنْسَان، ولَهُ في التَّسْوِيْغِ والادِّعَـاء، حُجَـجٌ لَيْسَ لَـها انْتِهَاء.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً مَسْتُوْرَ الـحَال، ابْتُلِـيَ بِـصَاحِبٍ أَثْقَـلَ عَلَيْهِ أَيَّ إثْقَـال، وهـوَ مَـعَ إثْقَالِـهِ وإمْلالِـه، يَـدَّعِي القِلَّـةَ في مَالِـه، وصَاحِبُهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَذَّاب، وأَنَّ أَمْوَالَـهُ يَنُـوْءُ بِـها الـحِسَاب، ولَكِنَّـهُ رَاعَى مُوْجِبَاتِ الصَّدَاقَة، ورَأَى أَنْ يَكْفِيَهُ وَهْمَ الفَاقَة، ودَامَ مَعَـهُ عَـلَى

هذا الـحَالِ المَهِيْن، وشَاهَدَ مِنْهُ مَا يُـزْرِي ويَـشِيْن، فمَتَـى اصْـطَحَبَا في الأَسْفَار، كَفَاهُ الكُلْفَةَ غَيْرَ مُـخْتَار، وادَّعَى أَنَّ رَغْبَتَـهُ في الـسَّفَرِ قَلِيْلَـة، وأَنَّهُ لَـمْ يُسَافِرْ إلاّ لِيُجَامِلَ خَلِيْلَه، وإذا ذَهَبَا إلى مَطْعَـم، تَــحَمَّلَ عَنْـهُ المَغْرَم، ورُبَّمَـا أَخَذَتِ اللَّئِيْمَ نَشْوَةُ الكِرَام، فوَثَبَ عِنْـدَ الـحِسَابِ إلى الـحَمَّام، ثُمَّ أَقْبَلَ يَلُوْمُ صَاحِبَهُ عَلَى الاسْتِعْجَال، ويَقُوْلُ: لَـوْ تَــرَكْتَنِي أَدْفَعُ عَنْكَ المَال، ولَكِنْ في المَـرَّةِ القَادِمَةِ بِإذْنِ مَوْلاي، لَنْ يَتَحَمَّلَ ثَمَـنَ الطَّعَامِ سِوَاي، وعِنْدَما يَــحِيْنُ اليَـوْمُ المَوْعُـوْد، يَـدَّعِي اللَّئِـيْمُ نِـسْيَانَ النُّقُوْد، وهَكَذا كَانَ في تَوَاكُلِهِ ومَعَـاذِيْرِه، وصَـاحِبُهُ يَكْـتُمُ عَنْـهُ لَظَـى سَعِيْرِه.

وحِيْنَ طَفَحَ بِصَاحِبِنا الكَيْل، وغَمَرَهُ مِنْ لُؤْمِ صَـاحِبِهِ سَـيْل، قَـرَّرَ أَنْ يُصَارِحَهُ بِعَيْبِـه، وبِعِلْمِـهِ عَـنِ المَخْبُـوْءِ في جَيْبِـه، وأَنْ يُبَــيِّنَ لَـهُ أَنَّ الصُّحْبَة، مُشَارَكَةٌ في اليُسْرِ والكُرْبَة، وأَنَّ التَّوَاكُـلَ مَـعَ الاقْتِـدَار، مِـنْ

شِيَمِ ذَوِي الصَّغَار، ولَـمَّا طَرَحَ عَلَيْهِ هَذِهِ المآخِذ، انْتَفَشَ اللَّئِيْمُ انْتِفَاشَ القَنَافِذ، ثُمَّ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِ غُوْل، وانْثَـنَى فِي مَعْرِضِ الـجَدَلِ يَقُوْل:

وَيْـحَكَ كَأَنَّكَ تَرْمِيْنِي بِالبُخْل، وتَـجْحَدُ مِنِّي مَا لَقِيْتَهُ مِنْ بَـذْل!، أَتُنْكِرُ أَيُّـها اللَّئِيْمُ الـجَاحِد، أَنَّنِي كُنْتُ لَـكَ خَـيْرَ مُـسَاعِد؟!، أَنَـسِيْتَ يَوْمَ سُرِقَ جَوَّالُك، وسَاءتْ بِسَرِقَتِهِ أَحْوَالُك، أَنَّنِي أَتَـحْتُ لَكَ جَوَّالِي مَرَّتَيْن، فهَاتَفْتَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ دَقِيْقَـتَيْن؟!، أَمْ نَسِيْتَ يَـوْمَ شَرِبْنَـا الـشَّايَ قَبْلَ سَنَوَات، ولَـمْ تَعْمَلْ بِطَاقَةُ ائتِـمَانِكَ رَغْمَ المُحَاوَلات، فقُلْ لِي مَـنْ دَفَعَ الدِّرْهَمَيْن، يا صَاحِبَ الزَّيْفِ والمَيْن؟!، أَمْ نَسِيْتَ يَوْمَ كُنْتَ تَـمْشِي وَرَائي، فَقَطَعْتَ دُوْنَ أَنْ تَـدْرِيَ حِـذَائي، فاكْتَفَيْـتُ مِنْـكَ بِـالتَّعْوِيْضِ الزَّهِيْد، ولَـمْ أُطَالِبْكَ بِثَمَنِ حِـذَاءٍ جَدِيْـد؟!، أَظُنُّـكَ تَـذْكُرُ كُـلَّ هَـذا وأَكْثَـر، فلِـمَ تَرْمِيْنِـي بِـمَا فِيْـكَ مِـنْ مُنْكَـر؟!، وإنْ كُنْـتَ تَـنْقِمُ عَـلَيَّ الاقْتِصَاد، فقَدْ حَثَّ إِلَيْهِ خَيْرُ العِبَاد، ومَعَ ذَلِكَ فإِنَّنِي أَخْشَى العِقَـاب، لِكَثْرَةِ تَبْذِيْرِي يَوْمَ الـحِسَاب، فأَنَا أُنْفِقُ إِنْفَاقَ مَـنْ لا يَـخْشَى الفَقْـر،

وأُبَادِرُ إلى سَدَادِ فَوَاتيْرِي كُلَّ شَـهْر، واسْـأَلْ عَـنْ جُـوْدِي البَعُـوْض، وكَيْفَ أَدَعُهُ في دَمِي يَــخُوْض، وإنِ اسْتَـكْثَــرْتُ في المُبِيْـدِ الأَثْــمَان، فلأَنَّ عِلاجَ المُسْتَشْفَى بِالمَجَّان، وهَـلْ تَعْلَـمُ أَنَّنِـي إنْ فَاتَــتْنِي وَلِيْمَـة، بَذَلْتُ في شِرَاءِ الـخُبْزِ أَيَّةَ قِيْمَة؟!، وأَنَّنِي أُغَيِّـرُ ثَـوْبِي قَبْـلَ أَنْ يَتَمَـزَّق، ولا أَرْتُقُهُ وهوَ قَابِلٌ أَنْ يُرْتَق؟!، فقُلْ لِي وَيْـحَكَ أَيَّ بُخْـلٍ عَنَيْـت؟!، وأَيَّةَ فِرْيَةٍ عَلَيَّ قَدِ افْتَـرَيْت؟!، فـوَاللهِ إنِّي بَـدَأْتُ أُوْجِـسُ مِنْـكَ خِيْفَـة، لِـهَوْلِ مَا ادَّعَيْتَ في فِرْيَتِكَ السَّخِيْفَة، والأَرْجَحُ عِنْـدِي أَنَّـكَ طَـامِع، وتَرْجُو مِنْ مَالِي المَــنَافِع، وتُرِيْـدُ أَنْ تَـسْتَغِلَّ كَرَمِـي، وتَــمْتَصَّ أَنْـتَ والبَعُوْضُ دَمِي، فاذْهَبْ هَذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِك، لا تَـرَكَ اللهُ سَـوَاداً في عَيْنِك، ولَنْ أُبِيْحَكَ مِنْ أُجْرَةِ هَذْرِكَ في جَوَّالِي، ولا مِـنْ قِيْمَـةِ الـشَّايِ وحِذَائي البَالي، فإنْ كُنْتَ نَبِيْلاً وذا إبَاء، فرُدَّ عَلَيَّ أَثْـمَانَ هَـذِهِ الأَشْـيَاء، وإلاّ فأَسْـأَلُ اللهَ أَنْ يُــجَازِيَكَ عَـلَى اسْـتِغْلالِك، وأَنْ يُــرِيَكَ –كَـمَا عَقَقْتَنِي– عُقُوْقَ عِيَالِك.

وبَيْنَمَــا البَخِيْــلُ فِي لَــجَاجِهِ مُنْهَمِـك، إذِ انْتَابَـتْ صَـاحِبَنا نَوْبَـةُ ضَحِك، وأَدْرَكَ أَنَّ البُخْلَ ابْتِلاء، وأَنَّ أَهْلَهُ أَبْلَغُ البُلَغَـاء، حَـرَمَهُمُ اللهُ الــسَّمَاحَة، ووَهَــبَهُمْ بَلِيْــغَ الفَـصَاحَة، عَـلَى أَنَّ فَـصَاحَتَهُمْ لَــجَاج، وحِجَاجَهُمْ بَقْبَـقَةُ دَجَاج، فوَدَّعَهُ ولَـمْ يَنْوِ قَطِيْعَتَه، ثُمَّ رَفَـعَ بِالإنْـشَادِ عَقِيْرَتَه:

وَخَلِيْــــلٍ بُلِيْــــتُ مِنْــــهُ بِــــشُحٍّ   وَاتِّكَــالٍ، فَيَــا لَبَلْــوَى الــخَلِيْلِ

يَدَّعِي الفَقْـرَ وَهْـوَ مُثْـرٍ، وَيُلْقِـي   فَوْقَ ظَهْرِي بِكُـلِّ حِـمْلٍ ثَقِيْـلِ

ذَاتَ يَوْمٍ لَـمَحْتُ كَـشْفَ حِـسَابٍ   بِاسْــمِهِ يَنْــتَهِي بِــرَقْمٍ طَوِيْــلِ

فَــتَغَاضَيْتُ عَــنْ خَـسَاسَةِ خِـلِّي   وَتَساخَيْتُ رَغْمَ دَخْلــِي القَلِيْـلِ

كَــمْ لَيَــالٍ أَنْفَقْــتُ فِيْهــا عَلَيْــهِ   وَصَنَعْتُ الـجَمِيْلَ تِلْوَ الــجَمِيْلِ

لَـوْ أَبُــوْهُ قَــارُوْنُ لَــمْ يَــحْتَمِلْهُ   فَــلِيَ اللهُ مِــنْ صَــدِيْقٍ نَبِيْــلِ

حِيْنَمَا لُــمْتُهُ عَلَى البُخْلِ يَوْماً ثَارَ فِي وَجْهِي بِالــخَنَا وَالعَوِيْـلِ

وَمَـضَى يَـسْتَعِيْدُ مَـا نِلْـتُ مِنْـهُ مِـنْ نُفَاثَـاتِ جُـوْدِهِ وَالـضَّئِيْلِ

وَنَــفَى كُـلَّ بُخْلِــهِ، وَرَمَــانِي بِالذِي فِيْـهِ.. يَـا لَـهُ مِـنْ عَلِيْـلِ!

بَــارِعٌ فِي لَــجَاجِهِ وَالــدَّعَاوَى مَــا لَــهُ فِي بِيَانِــهِ مِــنْ مَثِيْــلِ

أَيْنَ سَحْبَانُ عِنْـدَهُ؟ أَيْـنَ قُـسٌّ؟ أَيْــنَ عَنْـهُ أَفْـذَاذُ ذَاكَ الرَّعِيْــلِ؟

لَـوْ رَأَوْا مِثْلَـهُ حِجَاجـاً لَقَـالُوا: يَـا حِجَاجـاً وَلا حِجَـاجَ بَخِيْـلِ

٢٠ – «دَعَاوَى صَحَفِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الإشَاعَات، والكَلامِ المَبْنِيِّ عَلَى المُبَالَغَات، والصَّحَفِيُّ عَامِلٌ في جَرِيْدَة، يَطْلُبُ مِنْهُ رُؤَسَاؤهُ جَدِيْدَه، وقَدْ تَضِيْقُ بِبَعْضِ الصَّحَفِيِّيْنَ الأَخْبَار، فيُضَخِّمُوْنَ النَّمْلَةَ ويُجِلُّوْنَ الحِمَار، وطَالَمَا عَبَثُوا بِالقَارِئِ المِسْكِيْن، وخَادَعُوْهُ بِمُفَرْقَعَاتِ العَنَاوِيْن، ورُبَّمَا حَمَلَتْهُمْ رَغْبَةُ المَطْعَم، إلى تَغْطِيَةِ عُرْسٍ ومَأْتَم، فالْتَقَطُوا صُوَراً لِلزَّوْجِ ولِلثَّاكِل، ثُمَّ الْتَهَمُوا ما طَابَ مِنْ مَآكِل.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ رَجُلاً وَافِرَ الحَصَافَة، جَاوَرَ أَحَدَ العَامِلِيْنَ في الصَّحَافَة، فكَانَا إذا اجْتَمَعَا في دَار، هَذَرَ الصَّحَفِيُّ عَلَى الجَار، وأَخَذَ يُسْمِعُهُ الفَضَائح، ويَنْتَقِدُ الغَادِيَ والرَّائح، ويُهَوِّلُ صَغِيْرَاتِ الأُمُوْر، ويَخْلِطُ اللُّبَابَ بِالقُشُوْر، وإذا خَرَجَتْ جَرِيْدَةُ الصَّبَاح، قَرَأَ لَهُ فِيْها العَوِيْلَ والصِّيَاح.

وكَانَ فِي حَيِّهِمَا بُسْتَان، حَافِلٌ بِكُلِّ مَا رَاقَ وزَان، يَقْصِدُهُ الأَطْفَالُ والنِّسَاء، ويَبْقَوْنَ فِيْهِ حَتَّى المَسَاء، وحَدَثَ أَنْ سَقَطَ صَبِيٌّ مِنَ الأُرْجُوْحَة، فنَزَفَ بَعْضُ الدَّمِ مِنْ يَدِهِ المَجْرُوْحَة، وما إنْ عَلِمَ الصَّحَفِيُّ بِالخَبَر، حَتَّى شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ وحَضَر، وصَوَّرَ الصَّبِيَّ مِئَةَ صُوْرَة، وكَتَبَ أَنَّ يَدَهُ مَكْسُوْرَة، وأَنَّهُ أُصِيْبَ بِجُرُوْحٍ ثَخِيْنَة، سَبَبُها إهْمَالُ بَلَدِيَّةِ المَدِيْنَة، وحِيْنَمَا قَرَأَ المَسْؤُوْلُوْنَ تَحْقِيْقَه، دَمَجُوا البَلَدِيَّةَ وأَغْلَقُوا الحَدِيْقَة، فحُرِمَتِ الأُسَرُ مِنَ التَّرْفِيْه، لِدَجَلِ هَذا الصَّحَفِيِّ السَّفِيْه.

فرَأَى الجَارُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِجَارِه، ويَكْشِفَ لَهُ بَعْضَ عَوَارِه، فصَحِبَهُ فِي نُزْهَةٍ قَرِيْبَة، ثُمَّ عَابَ عَلَيْهِ أَكَاذِيْبَه، ونَصَحَهُ بِتَحَرِّي الحَقَائق، والتَّحَلِّي بِالطَّبْعِ الصَّادِق، وأَلاّ يَنْظُرَ إلى جِهَةٍ وَاحِدَة، وأَلاّ يُوَجِّهَ لِلشُّهْرَةِ مَقَاصِدَه، وبَيْنَمَا الجَارُ يَنْصَحُ صَفِيَّه، إذْ مَرَّتْ سَحَابَةٌ

صَيْفِيَّة، وَرَشَحَ مِنْها بَعْضُ الطَّلّ، فما لَبِثَ الصَّحَفِيُّ أَنِ انْسَلّ، ووَدَّعَ جَارَه في اسْتِعْجَال، والْتَفَتَ إِلَيْهِ لاهِثاً وقَال:

أَعِدُكَ أَنْ أُرَاعِيَ أَقْوَالَك، فأَرِحْ مِنَ اليَوْمِ بَالَك، ولَكِنَّ المَدِيْنَةَ الآنَ تَغْرَق، وشَوَارِعُها بِالطُّوْفَان تَشْرَق، ولا بُدَّ أَنْ أُصَوِّرَ هَذِهِ المَهَازِل، وأَكْتُبَ عَنْها تَقْرِيْرِي العَاجِل، فدَعْنِي أَرْصُدِ الفَيَضَانَات، قَبْلَ أَنْ تَبْتَلِعَها البَيَّارَات، وأَرْجُو أَنْ تُهَاتِفَنِي دُوْنَ تَعْوِيْق، مَتَى صَادَفْتَ حَادِثاً في الطَّرِيْق.

فتَيَقَّنَ الرَّجُلُ أَنَّ صَاحِبَهُ مُبْتَلَى، وأَنَّ لَيْلَ غَيِّهِ بَعْدُ ما انْجَلَى، فرَجَّعَ عَلَيْهِ آهَةً مُحْرِقَة، ثُمَّ أَنْشَدَ والشَّمْسُ مُشْرِقَة:

يَا لَجَارٍ صَحَفِيٍّ يَقْتَفِي   أَثَرَ الشَّرِّ كَصِلٍّ لادِغِ

يَرْصُدُ القُبْحَ بِطَرْفٍ ثَاقِبٍ   وَيَرَى الحُسْنَ بِطَرْفٍ زَائغِ

يَحْبِكُ الزَّيْفَ فُنُوْناً فَهْوَ في … فَرْقَعَاتِ القَوْلِ أَدْهَى نَابِغِ

كَمْ دَعَاوَى بَاطِلاتٍ هَذَّهَا … وَكَسَاهَا بِالدَّلِيْلِ الدَّامِغِ

وَيَسِيْرٍ هَيِّنٍ قَدْ صَاغَهُ … نَبَأً.. تَبّاً لَهُ مِنْ صَائغِ

وَيْلَهُ! أَصْفَيْتُهُ نُصْحِي فَلَمْ … أَلْقَ مِنْهُ غَيْرَ عِيٍّ بَالِغِ

مَنْ رَأَى رَشْحَ الحَيَا مَا بَالُهُ … زَاغَ عَنْ قُرْصِ السَّمَاءِ البَازِغِ؟!

فَدَعُوْهُ في هَوَى تَضْلِيْلِهِ … إنَّ مِنْطِيْقَ الهَوَى كَاللاَّثِغِ

وَاعْلَمُوا أَنْ لا دَعَاوَى هَشَّةً … كَدَعَاوَى صَحَفِيٍّ فَارِغِ

٢١ – «زَيْفٌ كَزَيْفِ المُسَابَقَات»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الدَّجَلِ والهُرَاء، والعَبَثِ بِمَشَاعِرِ الفُقَرَاءِ والبُسَطَاء، والمُسَابَقَاتُ أَفْخَاخُ احْتِيَال، تُنْصَبُ لِنَهْبِ الأَمْوَال، ولِلْقَائمِيْنَ عَلَيْها وَسَائل، لِجَذْبِ الغَافِلِ والجَاهِل، أَشْهَرُها القَائمُ عَلَى التَّصْويْت، وإثَارَةِ نَعْرَةِ التَّعَصُّبِ المَقِيْت، ووَسِائلُهُمْ تَهْدِفُ إلى المُتَاجَرَة، ومُعْظَمُها يَقُوْمُ عَلَى المُقَامَرَة، وتَخْلُو مِنَ التَّنَافُسِ الشَّرِيْف، ولِلْمُتَفَيْهِقِيْنَ مِنْها مَوْقِفٌ ظَرِيْف، حَيْثُ رَأَوا أَوَّلَ الأَمْرِ حُرْمَتَها، ثُمَّ أَبَاحُوْها لَـمَّا ذَاقُوا عُسَيْلَتَها، وصَارَ لِطَائفَةٍ مِنْهُمُ الخُطُوْطُ الخَاصَّة، وأَرْصِدَتُهُمْ بِقِيْمَةِ الاتِّصَالاتِ غَاصَّة.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَاعِراً سَمِعَ في الإعْلان، عَنْ مُسَابَقَةِ أَشْعَرِ الإنْسِ والجَان، وأَنَّ جَائزَتَها آلافُ الدَّنَانِيْر، والحُكْمَ فِيْها لِنُخْبَةِ الجَمَاهِيْر، فغَرَّتْهُ لَفْظَةُ (نُخْبَة)، ودَعَتْهُ إلَيْها الرَّغْبَة، وكَانَ رَغْمَ

الإفْلاس، مِنْ أَشْعَرِ النَّاس، فاخْتَارَ مِـنْ شِـعْرِهِ وانْتَخَـب، وبَعَـثَ بِـهِ إلَيْهِمْ وارْتَقَب، وراحَ يَسْرَحُ بـالأَحْلامِ والآمَـال، وكَيْـفَ سَـيَحْتَارُ في إنْفَاقِ المَال، وتَــخَيَّلَ أَنَّـهُ سَـدَّدَ أَقْـسَاطَهُ المُرَكَّبَـة، وأَنَّـهُ اشْتَــرَى بَيْتـاً ومَرْكَبَة، ولَـمَّا صَوَّتَ المُصَوِّتُوْن، خَرَجَ بِصَفْقَةِ المَغْبُوْن، إذْ لَـمْ يُصَوِّتْ لَهُ غَيْرُ أَخٍ وجَـار، وثَالِـثٍ أَخْطَـأَ في (زِرِّ) الاخْتِيَـار، ومِـمَّا زَادَ غَـبْنَ الشَّاعِرِ وسَاءه، أَنَّ قَصِيْدَةَ الفَائزِ بَالِغَةُ الرَّدَاءة، بَيْدَ أَنَّهُ كَـانَ مِـنْ قَبِيْلَـةٍ كَبِيْرَة، ولَـها انْتِشَارٌ في أَنْحَاءِ الـجَزِيْرَة، فـصَوَّتُوا لَـهُ نَخْـوَةً وحَــمِيَّة، وهُمْ لا يَعْرِفُوْنَ ما القَضِيَّة.

وحِيْنَمَـا تَـبَدَّدَتْ أَحْلامُه، وسَيْطَرَتْ عَلَيْهِ آلامُـه، نَفَّـسَ عَـنْ كَرْبِـهِ الثَّقِيْل، بِأَثْقَلِ أَوْزَانِ الـخَلِيْل، فبَاغَتَ مُنَظِّمِـي ذَلِـكَ الــهُرَاء، وهَـاتَفَهُمْ مُبَاشَرَةً عَلَى الـهَوَاء، وأَنْشَدَهُمْ بِسُرْعَةِ خَاطِف، قَبْلَ أَنْ يُغْلِقُوا الـهَاتِف:

لأَنِّي بِغَــــيْرِ قَــــوْمٍ وَلا عُــــــصْبَةٍ ذَوَاتِ
أُعَــانِي فَــوَاتَ فَــوْزِي وَأَبْكـي عَـلَى فَـوَاتِي؟!

فَـمَا ثَـمَّ قَـطُّ زَيْـفٌ كَزَيْـــفِ المُــسَابَقَاتِ

أَلاَ إِنَّكُـــمْ لُــصُوْصٌ تَبُـــثُّوْنَ مِــنْ قَنَــاةِ

تُقِيْمُــوْنَ سَــبْقَ شِــعْرٍ وَتُغْــرُوْنَ بِالـــهِبَاتِ

وَأَنْــتُمْ بِــلا شُــعُوْرٍ فَيَـــا لَلْمُفَارَقَـــاتِ!

لَقَــدْ كَـانَ سَــبْقَ رَدْحٍ خَصَــصْتُمْ بِــهِ فِئَــاتِ

بِتَـــصْوِيْـتِهِمْ أَكَلْـــتُمْ وُقُمْـتُمْ عَـنِ الفُتَـاتِ!

فَخَـــادَعْتُمُ القَـــوَافِي وَجُمْهُوْرَهـــا المُـــوَاتي

وَمِــنْ قَبْــلِ ذَاكَ سَــبْقٌ لأَعْجَــازِ رَاقِــصَاتِ!

ذِئــابٌ تَــرُوْمُ طُعْـــماً فَكَــمْ أَرْنَــبٍ وَشَــاةِ!



٢٢ – «سَخَافَةٌ لَـمْ يَقُلْهَا التَّرْبَوِيّ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الكَلامِ البَـارِد، قَليـلِ المَنـافِعِ مَنْــزُوْعِ الفَوَائـد، والتَّرْبَوِيُّ مَنْ أَشْـغَلَ نَفْـسَهُ بِالقُـشُوْر، وغَفَـلَ عَـنْ جَلائـلِ الأُمُـور، وانْصَرَفَ عَنْ شُؤُوْنِ التَّعْلِيْم، وبَالَغَ في التَّنْظِيْرِ والتَّنْظِيْم، فخَـرَجَ عَـلَى يَدِهِ جِيْلٌ ضَعِيْف، لا يَقْوَى عَلَى كَسْرِ رَغِيْف، جَاوَزَ وَاحِدُهُمْ عِـشْرِيْنَ عَاما، ولَـمْ يَـزَلْ يُنَادِي أُمَّهُ: مَامَا.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُـلاً تَـزَوَّجَ دَارِسَـةَ نَفْـس، وأَنْجَـبَ مِنْهـا بَنَاتِـهِ الـخَمْس، فكانَ إذا عَنَّـفَهُنَّ علَى الـخَطَأ، فَضَحَتْهُ زَوْجَتُهُ في المَـلأ، وإذا مَعَهُنَّ انْبَسَط، قالَتْ لَهُ: غَلَط، وكُلَّـمَا قالَ لَـهُنَّ: لا، قالَتْ لَهُ: قُـلْ بَـلَى، وإنْ طَاوَعَهَا يَوْمـاً وقَـال، قَالَـتْ: أَفْرَطْـتَ في الـدَّلال، فكَـانَ مِنْهـا في مُشَاغَبَة، وطُوْلِ جِدَالٍ ومُعَاتَـبَة، وحَدَثَ في ذاتِ يَوْم، وهُمَـا يَـسْتَعِدَّانِ للنَّوْم، أَنِ اقْتَـرَبَتْ مِنْهُ تَقُوْلُ له، وكَانَ السَّأَمُ قَدْ أَثْقَلَه:

يَا سَـيِّدِي اللَّبِيْـب، إنَّ سِيَاسَـةَ التَّأْدِيْـب، أنْ نَــنْظُرَ إلى المُـسْتَقْبَل، ونَمْضِيَ نَحْوَ الأَفْضَل، ولا يَنْبَغِي أنْ تُعَنِّفَ البَنَات، أوْ أنْ تَسْكُتَ عَـلَى ما فَات، ولا بُدَّ أنْ تَـتَّبِـعَ إسْتِرَاتِيْجِيَّةً وَاضِحَة، وتَسْتَفِيْدَ مِنْ تَــجَارِبِ الشُّعُوْبِ النَّاجِحَة، ولا شَكَّ أنَّ الـخَلَــلَ فِيْـك، ولا بُـدَّ مِـنْ تَكْمِـيْمِ فِيْك، فأنتَ لَـمْ تَطَّلِعْ عَلَى المَـنَاهِجِ الـحَدِيْثَة، وتَنْقُصُكَ لِبُلُوْغِ الـوَعْيِ خُطـىً حَثِيْثَــة، ومــا أَحْوَجَــكَ إلى دَوْرَةٍ تَأْهِيْلِيَّــة، في عِلْــمِ الــذَّاتِ والبَرْمَـجَةِ اللُّغَوِيَّة، ففي الـحَقِيْقَةِ والوَاقِـع، أنْـتَ في الــجَهْلِ وَاقِـع، وتَفْتَقِدُ مُعْظَمَ المَهَـارَات، كَـمَا أَثْبَتَـتِ الدِّرَاسَـات، فَائْـذَنْ لي أَنْ أَخْـتِمَ الكلام، بِأَحْدَثِ الإحْصَائيَّاتِ والأَرْقام.

فقَاطَعَها الزَّوْجُ المَكْدُوْد، وصَاحَ: لِلصَّبْرِ حُدُوْد، فجَذَبَـها إليهِ مِنْ شَعْرِها، وأَعْلَمَها حَقِيْقَةَ قَدْرِها، وصَفَعَها عَلَى خَـدِّها، وأَوْقَفَهـا عِنْـدَ حَدِّها، وتَـرَكَها وخَرَج، وسَأَلَ اللهَ الفَرَج، ثُمَّ أَخْرَجَ قَلَمَهُ وقِرْطَاسَـه، وكَتَبَ بَعْدَ أنِ اسْتَجْمَعَ أَنْفَاسَه:

لَقَـدْ تَزَوَّجْـتُ مِـنْ خَرْقَـاءَ بَـارِدَةٍ تَضَاعَفَ الرُّزْءُ فِيْهَـا وَانْتَـهَى أَسَـفي

يَكَادُ يَـجْمُدُ مِنْهَا في العُرُوْقِ دَمِـي لَوْلا حَـمِيْمُ الأَسَى مِنْ مَدْمَعِي الوَكِـفِ

خَصَـصْتُهَا بِـوِدَادٍ خَـالِصٍ، وَأَنـا خُصِصْتُ مِنْها بِسُوْءِ الكَيْلِ وَالـحَشَفِ

تَـــهْذِي عَـلَيَّ بـأَقْوَالٍ مُطَلْـسَمَةٍ وَتَـمْضَغُ الـحَرْفَ مَضْغَ الشَّاةِ لِلعَلَفِ

إذا احْتَضَنْتُ بَنَاتِي أَوْ رَفَعْتُ يَـدِي بِالزَّجْرِ فِيْهِنَّ صَاحَتْ بِي: كَفَـاكَ قِـفِ

تَقُـوْلُ إنَّ (اسْـتِرَاتِيْجِيَّتِي) خَطَـأٌ! فَاسْمَعْ حَدِيْثِي، وَمِنْ يَنْبُوْعِيَ ارْتَشِفِ

ثُمَّ انْبَـرَتْ بِحَدِيْثِ السُّخْفِ تُـخْبِرُنِي بِـمَا وَعَتْـهُ مِـنَ التِّلْفَـازِ وَالـصُّحُفِ

سَخَافَةٌ لَـمْ يَقُلْهَـا التَّرْبَـوِيُّ، ولَـمْ يَنْطِقْ بِـهَا غَـيْرُ مَـخْذُوْلٍ وَمُعْتَسِفِ

بَقِيَّـةٌ مِـنْ تَـجَارِيْبٍ وَفَلْـسَفَةٍ مَـا ثَـمَّ فِـيْهِنَّ لِلْـوَاعِيْنَ مِـنْ هَـدَفِ

وَحِيْنَمَـا أَكْثَـرَتْ لِي مِـنْ تَفَلْسُفِهَا وَسَـاقَتِ القَـوْلَ في كِبْـرٍ وَفي صَـلَفِ

صَـفَعْتُهَا بِيَمِـيْنٍ لَـوْ صَـفَعْتُ بِـهَا مَيْتـاً لَقَـامَ عَـلَى رِجْلَيْـهِ كَـالأَلِفِ

وَزِدْتُـهَا بِـصُدُوْدِي كُرْبَـةً وَجَـوىً وَنِمْـتُ في مَكْتَبِـي.. رَأْسِي عَـلَى كَتِفـي

تَـرَكْتُـهَا وَحْدَهَا في حِضْنِ وَحْـشَتِهَا   وَصِحْتُ: (بِالإِسْـتِرَاتِيْجِيَّةِ) الْتَحِفـي

فَـمَا أَتَـتْ مِـنْ لَيَـالِي الـهَجْرِ ثَالِثَـةٌ   إلاّ وَنَحْـــنُ كَعُــصْفُوْرَيْنِ في كَنَـــفِ

٢٣ – «في الانْتِخَابِ فِخَاخُ أَطْمَاع»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الأَمْرِ ظَاهِرُهُ الـخَيْر، وبَاطِنُهُ يَنْطَوِي عَـلَى الـشَّرِّ والضَّيْر، والانْتِخَابُ اخْتِيَارُ الْمُنَاسِب، لِيَقُـوْمَ عَـلَى بَعْـضِ المَــنَاصِب، وقَـدْ يُتَّخَـذُ ذَرِيْعَـةً لِلْوَجَاهَـةِ والمَغَـانِم، وتُبْـذَلُ في سَـبِيْلِهِ الأَمْـوَالُ والـوَلائم، وطَالَــمَا تَــحَزَّبَتْ في الانْتِخَـابِ فِئَـات، فجَـادُوا عَـلَى مُرَشَّحِهِمْ بِالأَصْوَات، لِكَوْنِهِ أَجْـزَلَ لَــهُمُ الوُعُـوْد، أَوِ انْتَخَـى بِــهِمُ الآبَاءَ والـجُدُوْد.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ زَعِيْمَ بَادِيَة، اسْـتَقَرَّ بِرَعِيَّتِـهِ في بُقْعَـةٍ نَائِيَـة، ولَــمْ يَزَالُوا يُثْنُوْنَ عَلَى سِيْرَتِه، وعَلَى عَدْلِـهِ في سِيَاسَـةِ عَـشِيْرَتِه، وكَـانَ عَـلَى الـجِوَارِ مِنْهُمْ أَعَاجِم، لَـهُمْ عَـادَةٌ في اخْتِيَـارِ الــحَاكِم، حَيْـثُ كَـانُوا يَـجْتَمِعُوْنَ ويَـخْتَارُوْن، ثُمَّ يُقَاسِمُوْنَهُ إدَارَةَ الشُّؤُوْن، وإنْ خَـالَفَهُمْ في أَمْرٍ عَزَلُوْه، ورُبَّمَـا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وقَـتَلُوْه، وعَلِمَ أَحَدُ الرُّعَـاةِ بِــتِلْكَ

العَادَة، وكَانَ مَوْلَىً دَخِيْلاً يَكْرَهُ أَسْيَادَه، فأَفْشَى ما رَآهُ بَيْنَ الرُّعْيَان، واقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ تَقْلِيْدَ الجِيْرَان، فكَاشَفُوا زَعِيْمَهُمْ بِالاقْتِرَاح، وأَثْقَلُوا عَلَيْهِ بِالإلْحَاح، وعَرَضُوا عَلَيْهِ إقْرَارَ الانْتِخَاب، عَلَى أَنْ يَظَلَّ مَحْمِيَّ الجَنَاب، ويَخْتَارَ هُوَ الوُزَرَاءَ والأَتْبَاع، ويَتْرُكَ لِسِوَاهُ شُؤُوْنَ الرَّعَاع، فأَقَرَّهُمُ الزَّعِيْمُ عَنْ حُسْنِ نِيَّة، وتَرَكَهُمْ يُدَبِّرُوْنَ أَمْرَ الرَّعِيَّة، فأَشْغَلُوا العَشِيْرَةَ بِالتَّصْوِيْتِ والاقْتِرَاع، وضَيَّعُوا أُمُوْرَ الرَّعْيِ والازْدِرَاع، ونُصِبَتِ الخِيَامُ لِلتَّرْشِيْح، وسَخَا بِأَمْوَالِهِ الشَّحِيْح، وزَخْرَفُوا دَعَاوَى التَّطْوِيْر، وأَجَادُوا وَسَائلَ التَّزْوِيْر، وأُقِيْمَتِ الوَلائمُ الكَبِيْرَة، وتَحَزَّبَ أَبْنَاءُ العَشِيْرَة، ودَخَلَ في نُفُوْسِهِمُ الشَّتَات، وصَارُوا بَعْدَ الوَحْدَةِ جَمَاعَات، ففَازَ المَوَالِي بِثَلاثَةِ مَقَاعِد، وظَفِرَ الرُّعَاةُ بِمَقْعَدٍ وَاحِد، ومَرَّتْ بِهِمُ الأَعْوَامُ ولا جَدِيْد، وأَحْوَالُهُمْ في احْتِدَامٍ شَدِيْد.

وفي العَـامِ الــخَامِسِ مِـنَ الانْتِخَـاب، اجْتَــرَؤُوا عَـلَى مَــحْمِيِّ الـجَنَاب، ورَأَوا أَنَّ احْتِدَامَهُمُ القَدِيْم، سَبَــبُهُ كُـرْهُ بَعْـضِهِمْ لِلـزَّعِيْم، فقَرَّرُوا أَنَّ تَنْحِيَتَهُ أَوْلَى، ونَصَّبُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ المَوْلَى، وحِيْنَ هَمَّ الـزَّعِيْمُ بِالارْتِـحَال، الْتَفَتَ عَلَى العَشِيْرَةِ وقَال:

قَدْ سُـسْتُكُمْ بِالعَدْلِ مُنْتَهِجاً — نَــهْجَ امْـرِئٍ لِلْخَـيْرِ مُنْـصَاعِ

فَلْتَنْقُلُــوا عَنِّــي مُكَابَــدَةً — ضَاقَتْ بِـهَا يَا قَوْمِ أَضْلاعي:

في كَثْــرَةِ الآرَاءِ فُــرْقَتُكُمْ — وَفي الانْتِخَـابِ فِخَـاخُ أَطْـمَاعِ

لا شَيْءَ أَبْخَسُ مِـنْ مُـشَارَكَةٍ — وَالبَخْسُ في المَوْزُوْنِ لا الـصَّاعِ

هَــذَا أَنَــا أَدْعُــو إِلَى رَشَــدٍ — وَاللهُ يَعْلَــمُ حَـسْرَةَ الـدَّاعي

اثْنَــيْنِ لا تُوْلُوْهُمَــا ثِقَــةً: — مَوْلاكُمُ المَخْطُـوْمُ، وَالرَّاعـي

يَفِيَــانِكُمْ حَتَّــى إذا ارْتَفَعَــا — غَــدَرَا، وحَطَّــاكُمْ إِلَى القَــاعِ

لا تُسْلِمُوا النَّــذْلَيْنِ أَنْفُـسَكُمْ — إِنْ كَانَ فِـيْكُمْ حَـاذِقٌ وَاعـي

فَلَقَدْ رَأَيْـتُمْ كَيْـفَ خَـادَعَنِي مَنْ لَـمْ يُــخَلْ يَوْمـاً بِخَـدَّاعِ

زَانَــا بِعَيْنَــيَّ انْتِخَابَـــهُمَا وَاسْتَـثْنَــيَا عَـرْشِي وأَتْبَـاعي

وَالآنَ هَـا أَنَــذَا طَرِيْـدُ فَـلاً أَصْــلَى مَــرَارَاتِي وأَوْجَـاعي

٢٤ – «لا أَجْحَدَ مِنْ أُنْثَى»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ جَحَدَ الفَضْلَ الـجَزِيْل، وتَنَاسَى كُلَّ مَا صُنِعَ بِهِ مِنْ جَمِيْل، وَخُصَّتِ الأُنْثَى بِالنُّكْرَان، لِكَوْنِـها أَسْرَعَ إلى النِّسْيَان، ولأَنَّـها مَطْبُوْعَةٌ عَلَى الشَّكْوَى، وعَلَى غَيْرِ الـخِصَامِ لا تَقْوَى.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ شَابّاً كَثِيْرَ المَال، بَلَغَ بِعُمْرِهِ وعَقْلِهِ مَبْلَغَ الرِّجَال، وكانَ أَهْلُهُ يُشِيْرُوْنَ عَليهِ بالزَّوَاج، مِنْ فَتَاةٍ كَثِيْرَةِ المَالِ مِغْنَاج، فكَانَ يَرْفُضُ كُلَّ الرَّفْض، ولا يَقْبَلُ مِنْهُمْ أَيَّ عَرْض، إذْ كَانَ سَمِعَ مِنْ مُعَلِّمِه، جُمْلَةً مُخْتَارَةً مِنْ حِكَمِه، ومِنْ بَيْنِ ما سَمِعَهُ ووَعَاه، مِنْ تِلْكَ الـحِكَمِ ما مَعْنَاه:

خَيْرُ الـجِيَادِ الـحَسِيْبَةُ الكَرِيْمَة، وخَيْرُ النِّسَاءِ الفَقِيْرَةُ الدَّمِيْمَة، فالـجَوَادُ الـحَسِيْبُ يَفُوْزُ في السِّبَاق، والمَرْأَةُ الفَقِيْرَةُ تَصْبِرُ عَلَى

الإمْلاق، وتَشْكُرُ في كُثْرِها وقُلِّها، وتَـخْشَى العَوْدَةَ إلى أَهْلِهـا، كَـمَا أنَّ الدَّمَامَةَ تُوْرِثُ الـخُلُقَ القَوِيم، وتُكْسِبُ الزَّوْجَ الأَجْرَ العَظِيْم، وتُبْعِدُ عَنِ الزَّوْجَةِ الأَنْظَار، وتُرِيْحُ الـزَّوْجَ مِـنَ العَـار، وذَلِـكَ كُلُّـهُ أَحْـرَى لِلتَّوْفِيْق، وبِالدَّوَامِ والسَّعَادَةِ خَلِيْق.

فعَزَمَ الشَّابُّ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْ فَـتَاة، لا تَـحْمِلُ إلاّ تِلْكَ الـصِّفَات، فتَـرَكَ مَدِيْنَـتَهُ المَعْمُوْرَة، وبَحَثَ في القُرَى المَهْجُوْرَة، إلى أنْ وَجَـدَ دَاراً مُـخِيْفَة، هَوَتْ مِنْ أَعْلاها السَّقِيْفَة، وأَمَامَ البَابِ شَيْخٌ مُسِنّ، لَـمْ يَبْـقَ في فَمِهِ سِنّ، ورَأَى خَلْفَهُ فَـتَاةً ظَاهِرَةَ الـحَوَل، يُطِـلُّ مِـنْ هُـوَّةِ أَنْفِهـا جُعَل، وأَسْنَانُـها بَارِزَةٌ لِلأَمَـام، ولِلـسُّوْسِ فِيهـا أَهْنَـأُ مَقَـام، وكَانَـتْ تَنْفِضُ القَمْلَ عَلَى العَتَـبَة، وتَلْهُو بِعَظْمَةٍ وخَشَبَة، فَسُرَّ بِمَرْآها الغُـلام، وقالَ: هِيَ غَايَةُ المَرَام، فنَقَدَ أَبَاها المَال، وتَزَوَّجَها في الـحَال، فأَصْـلَحَ مِنْها ما يُمْكِنُ إصْلاحُه، وطَارَ بِـها تَـحْدُوْهُ أَفْرَاحُه، وأَسْـكَنَها قَـصْرَهُ المَهِيْب، وكَاشَفَها بِغَرَامِهِ المُذِيْب، ثُمَّ أَجْرَى لَـها مِئَةَ عَمَلِيَّـةِ تَـجْمِيْل،

مَعَ أَنَّ هَيْئَتَها لا تَقْبَلُ التَّعْـدِيْل، واشْتَـرَى لَـها الـذَّهَبَ والأَلْـمَاس، وفَاخِرَ الزِّيْنَةِ واللِّبَاس، وخَصَّها بِسَائقَيْنِ وثَلاثِ خَادِمَات، وجَعَلَهُـمْ رَهْنَ إِشَارَتِـها كُلَّ الأَوْقَات، ومَنَحَها مَا لَيْسَ عَلَيْهِ مَزِيْد، وصَـارَ لَـها في المَصْرِفِ رَصِيْد، كَمَا طَافَ بِـها البُلْدَانَ والمَعَالِـم، وأَطْعَمَها في أَفْخَرِ المَطَاعِم، وعَلَّمَها الأَكْـلَ بِالمِلْعَقَـة، وكَانَـتْ تَـحْـسَبُها مِطْرَقَـة، وظَـلاَّ أَعْوَاماً عَلَى هَذِهِ الـحَال، في أَتَمِّ نُعْمَى وأَسْعَدِ بَال.

وفي لَيْلَةٍ حَالِكَةٍ بَطِيْئَةِ النُّجُوْم، دَخَـلَ الـزَّوْجُ بَيْتَـهُ وهـوَ مَهْمُـوْم، فنَسِـيَ أَمْرَ الشَّرِيْكَة، ونَامَ عَـلَى الأَرِيْكَـة، وكَانَـتْ زَوْجَتُـهُ تَنْتَظِـرُهُ في الغُرْفَة، وتَرْتَقِبُ دُخُوْلَهُ عَلَيْها في لَـهْفَة، فلَـمَّا اسْتَبْطَأَتْ مَـجِيْئَهُ إِلَيْهـا، وخَيَّمَتْ سَطْوَةُ المَلَلِ عَلَيْها، عَلاها الوَجَلُ والارْتِبَاك، إلى أَنْ أُخْـبِرَتْ بِنَوْمِهِ هُنَاك، فهَبَطَتْ إليهِ مُسْرِعَةً مُـجِدَّة، وسَحَبَتْ مِنْ تَـحْتِ رَأْسِـهِ المَخَدَّة، وجَذَبَتْهُ مِنْ كَتِفَيْه، ثُمَّ صَرَخَتْ عَلَيْه:

أَلاَ سُحْقاً لِـبُرُوْدِكَ يـا أَلأَمَ اللُّؤَمَـاء، تَـتْـرُكُنِي وَحْـدِي وتَنَـامُ فِي هَنَاء، وَاللهِ إِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّكَ خَسِيْس، لَـمْ أَلْقَ مَعَكَ إلاّ العَيْشَ التَّعِيْس، صَبَرْتُ عَلَيْكَ السِّنِيْنَ الطِّوَال، ولَـمْ أَجِدْ مِنْكَ غَيْرَ الإِهْمَـال، وبَـذَلْتُ لَكَ النَّفِيْسَ الغَالِي، وأَنْتَ بِي لا تُبَالِي، وحَمَلْتُ لأَجْلِكَ الأَحْمَال، وأَنْـتَ لا مَالَ ولا جَمَال، وإلاّ قُلْ لِي مَنْ تَصْبِرُ عَلَى نَكَـدِك، وتَـرْضَى أَنْ تَـضَعَ يَـدَها فِي يَـدِك؟، إلاّ مَنْحُوْسَـةٌ مِـثْلِي، بَـاعَنِي لَـكَ أَهْـلِي، وقَـدْ كـانَ الـخُطَّابُ مِنْ كُلِّ الـجِهَات، يَرْقُبُوْنَ مِنِّي أَدْنَى الْتِفَـات، فلَيْـتَ أَنَّنِـي عَـانِس، ولَـمْ أَتَزَوَّجْـكَ يـا بَـائس، فقُـمْ أَيُّـها المَجْنُـوْن، وأَحْـضِرِ الـمَأْذُوْن، فلا صَبْرَ لِي عَلَى العَيْشِ الـجَدِيْب، ولا النَّظَـرِ إلى وَجْهِـكَ الكَئِيْب.

وما زَالَتْ تَصِيْحُ وتَشْتُم، وتَرْكُلُ المِسْكِيْنَ وتَلْكُم، وهـوَ فِي مَكَانِـهِ مُنْكَمِش، ومِنَ الرَّهْبَةِ يَرْتَعِش، ثُمَّ نَـهَضَ مِنْ أَرِيكَتِهِ واعْتَدَل، ونَفَـثَ عَنْ شِمَالِهِ وتَفَل، فعَادَتْ إليهِ بَعْضُ الـسَّكِيْنَة، وأَحْكَـمَ سَـيْطَرَتَهُ عَـلَى

الـسَّفِيْنَة، ولَـوْ سَـدَّدَ لَــها ضَرْبَـةً في الـرَّاس، لَـسَقَطَتْ مِنْهـا خَمْـسَةُ أَضْرَاس، ولَكِنَّهُ آثَـرَ الصَّمْتَ والانْكِفَاء، وعَلِمَ أنَّــها طَبِيْعَـةُ النِّـسَاء، ولا حِيْلَةَ فِيها ولا جَـدْوَى، فـدَعا بِالـصَّبْرِ عَـلَى البَلْـوَى، ثُـمَّ أَخْـرَجَ قِرْطَاسَهُ وقَلَمَه، وكَتَبَ وهوَ يُغَالِبُ أَلَـمَه:

تَـــمادَتْ بي تَـبَارِيْـــحي ... فَيَـــا لِـلَّـــهِ مـــا أَلْقَـــى

وَمَـادَتْ بي ذُرَى صَـبْري ... وَكَـــانَ الـــصَّبْرُ لي خُلْقـــا

تَزَوَّجْــتُ التــي أَرْجُــو ... فَـــما أَقْبَحَهـــا خَلْقـــا

تَـــرَى فِيْهـــا ثـــآليلاً ... وأَنْيَابـــاً لَـــــهَا زُرْقـــا

فَـــإنْ شَـــبَّهْتَها يَوْمـــاً ... بِنَــسْنَاسٍ فَـــلا فَرْقـــا

فَأَوْسَــعْتُ لَــهَا قَلْبــي ... وَتُيِّمْـــتُ بِــــهَا عِـــشْقا

وَقَــدْ أَكْرَمْــتُ مَثْوَاهـــا ... وَلاقَـــتْ مِنِّـــيَ الرِّفْقـــا

وَأَحْــسَنْتُ لَهـــا دَهْـــراً ... وَطُفْنَـا الغَـرْبَ والـشَّرْقا

وَقُلْـتُ: الآنَ أَجْنِـي مِـنْ ... نُخَـيْلاتِ الرِّضَـا عِـذْقا

فَــمَا صَـــحَّتْ حِـــسَابَاتي وَلا حَدْسِــي بِــهَا اسْــتَوْقى

فَـــمَا أَخْيَـــبَ آمــــالي وَمَـــا أَكْثَـــرَنِي حُمْقَـــا

رَأَتْنِـــي أَشْتَـــكِي هَـــمِّي وَأَحْـــزَانِي مَعِـــي غَرْقَـــى

فَلَـــمْ تُـــسْعِفْ بِإِنْجَـــادٍ ولَـــمْ تَـــرْتِقْ مَعِـــي فَتْقَـــا

وَظَنَّـــتْ أَنَّنِـــي سَـــالٍ وَخَالَـــتْ ظَنَّهَـــا حَقّـــا

فَجَرَّتْنِـــي عَـــلَى وَجْهِـــي وَقَالَـــتْ لي: أَلاَ سُـــحْقا

تَنَاسَـــتْ كُـــلَّ إحْـــسَاني وَأَرْخَـــتْ لِلْخَنَـــا شِـــدْقا

وَخَـــصَّتْنِي بِأَوْصـــافٍ إلى الـخِـنْـزِيْــرِ لا تَــرْقى

وَظَلَّـــتْ تَـــكْفُرُ النُّعْمَـــى وَتَـــرْجُو مِنِّـــيَ العِتْقَـــا

لأَنَّ البُـــؤْسَ أَضْـــنَاها! وَشُـــحِّي زَادَهَـــا خَنْقَـــا!

فَـــلا أَجْحَـــدَ مِـــنْ أُنْثَـــى وَلا أَغْبَـــى وَلا أَشْـــقى

٢٥ – «لا مُهَانَ كَدَائن»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ أَهَانَهُ نُبْلُه، وأَصْمَاهُ مِنْ قَوْسِ مُـجْتَدِيْهِ نَبْلُـه، والدَّائنُ هُنَا مُقْرِضُ الصَّحْبِ مالَه، والمُرْخِي عَلَى سَوْءاتِـهِمْ سِرْبَالَـه، ورَجَا بِقَرْضِهِ الأَجْرَ والثَّوَاب، فكَانَ جَزَاءَهُ المَطْلُ والسِّبَاب.

وأَصْـلُ المَثَـلِ أنَّ رَجُـلاً ابْتُلـيَ بِالـشَّهَامَة، وأَرْخَـى في نَجْـدَةِ الأَصْـحَابِ زِمَامَـه، فكَـانَ إذا اسْتَـصْرَخَهُ لاهِـثْ، أَقْرَضَـهُ مـا يَقِيْـهِ الـحَوَادِث، ثُمَّ اتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى مَوْعِـدِ الـسَّدَاد، ودَعـا اللهَ لَـهُ بِـالتَّوْفِيْقِ والسَّدَاد، فلَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِهِ مُـحْتَاج، إلاّ وأَحَالَ ضِيْقَهُ إلى انْفِـرَاج، وكَانُوا يَتَـوَدَّدُوْنَ إلَيْهِ سَاعَةَ القَرْض، ويَكَادُوْنَ يُقَبِّلُوْنَ أَمَامَهُ الأَرْض، وهوَ يَـجْذِبُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَمِيْنَه، ولا يَرْضَى لَـهُمْ حَالَةً مَهِيْنَة، وهَكَذا كَانَ في رِفْقِهِ ومَوَدَّتِه، لا يَكَادُ يَـحْرِمُ أَحَداً مِنْ نَجْدَتِه.

فلَـمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَه، طَـافَ عَـلَى أَصْـحَابِهِ يَـسْتَوْفِـي دَيْنَه، فطَرَقَ بَابَ الصَّاحِبِ الأَوَّل، فصَاحَ فِي وَجْهِهِ وأَعْوَل، وقالَ: لا سَبِيْلَ إلى التَّقَاضي، واذْهَبْ متَى شِئتَ إلى القَاضِي، ثُمَّ عَاجَـلَ وَجْهَـهُ بِـبَصْقَة، وأَسْمَعَهُ مِنْ بَابِهِ صَفْقَة، ومَرَّ عَلَى صَاحِبِه الثَّـاني، فأَقْـسَمَ لـهُ بِالمَثَاني، أَنَّهُ لا يَمْلِكُ قُوْتَ يَوْمِه، وأَنَّ إفْطَارَهُ مِثْلُ صَوْمِه، وطَلَـبَ مِنْـهُ الإمْهَال، إلى صَلاحِ الـحَال، وأَمَّ بَيْتَ ثَالِـثِ أَصْـحَابِه، فطَـالَ وُقُوْفُـهُ عَلَى بَابِه، ثُمَّ خَرَجَ إليهِ أَحَدُ بَنِـيْه، وقَالَ والتَّلَعْثُمُ مِـلْءُ فِيْـه:، أَبِــي في سَفَرٍ قَدْ يَطُوْل، فلا يَكُنْ مِنْكَ قُفُوْل، وقَصَدَ صَاحِبَهُ الرَّابِــع، بَعْـدَ أنْ رَصَدَهُ في الـجَامِع، فالْتَفَتَ إليهِ لَفْتَةَ المُكْتَسِح، وقالَ لـهُ: يـا لَـكَ مِـنْ وَقِح، تَـرَاني مُنْشَغِلاً بِالصَّلاةِ والابْتِهَال، وأَنْتَ تَـرْصُدُني تُـرِيْدُ المَـال، فاغْرُبْ عَـنْ وَجْهِـي شَـقِيْتَ وخُزِيْـت، ولا سَـلِمْتَ مِـنَ الأَذَى ولا وُقِيْت، ولَنْ أَفِيَكَ شَـيْئاً مِـنْ مَالِـك، رَدْعـاً لَـكَ ولأَمْثَالِـك، وخَـرَجَ يَلْـتَمِسُ صَــاحِبَهُ الــخَامِس، فوَجَـدَهُ في بَعْـضِ المَجَـالِس، فلَــمَّا رَآهُ

صَاحِبُه، انْعَقَدَ مِنْهُ حَاجِبُه، وقالَ: سَبَقَ مِنْكَ الإصْلاح، فلا تُفْسِدْهُ بِالمَنِّ والإلْحَاح، ثُمَّ إنَّ اللهَ فَتَحَ عَلَيْك، وسَاقَ جَزِيْلَ فَضْلِهِ إلَيْك، وما أَرَاكَ بِمُحْتَاج، فدَعْ عَنْكَ اللَّجَاج، واعْلَمْ أنَّ الخِصَام، مِنْ طِبَاعِ اللِّئام، وإنِّي إخَالُكَ كَثِيْرَ اللُّؤْم، وفي وَجْهِكَ عَلامَاتُ الشُّؤْم، وهَا أَنَذَا بَدَأْتُ مِنْكَ أَضِيْق، فلا تَضْطَرَّنِي إلى ما لا يَلِيْق، فاحْمَدِ اللهَ عَلَى العَافِيَة، ولا تُرِني وَجْهَكَ مَرَّةً ثَانِيَة.

فآثَرَ الدَّائنُ أنْ يَسْتَرِيْح، وألاّ يَسْتَمْسِكَ بِالرِّيْح، وأَقْسَمَ باللهِ ذي الجَلال، ألاّ يُسْعِفَ مُعْوِزاً بِمَال، وألاّ يُنْجِدَ أَحَداً مِنْ كَمَدِه، ولَوْ كَانَ فَلْذَةَ كَبِدِه، ثُمَّ صَعَدَ مَنَارَةَ المَسْجِد، وأَنْشَأَ مِنْ غَيْظِهِ يُنْشِد:

يَا مَعْشَرَ النُّبَلاءِ لا يَأْخُذْكُمُ ... في مُعْوِزٍ عَطْفٌ وَلا تَتَأَثَّروا
يَسْتَفُّ بِاسْمِ القَرْضِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ... وَلَوِ اسْتَبَنْتُمْ فَهْوَ لِصٌّ أَكْبَرُ
يَأْتِي إلَيْكُمْ شَاكِياً أَحْوَالَهُ ... وَدُمُوْعُهُ مِنْ عَيْنِهِ تَتَحَدَّرُ

وَيَظَلُّ يَـسْتَجْدِي سَـمَاحَ نُفُوْسِـكُمْ وَلِـسَانُهُ الــخَدَّاعُ شَــهْدٌ يَقْطُــرُ

لا تُـحْـسِنُوا فِيْــهِ الظُّنُــوْنَ فَإِنَّــهُ أَدْهَى الوَرَى، وَمِنَ الثَّعَالِبِ أَمْكَرُ

لَــوْ أَنَّنِــي أَخْــبَرْتُكُمْ بِــأَذِيَّتِي مِــنْ مِثْلِـهِ لَـشَجَاكُمُ مَـا أُخْـبِرُ

أَقْــرَضْتُ أَصْـحَابي فَلَـمَّا جِئْـتُهُمْ مُـسْتَوْفِياً بَـصَقُوا عَـلَيَّ وَأَنْكَـروا

وَأَقَـلُّ مَـا لاقَيْـتُ مِـنْ نُكْرَانِــهِمْ وَغْـدٌ يُمَــاطِلُنِي، وَآخَـرُ يَزْجُـرُ

فِـيْما مَـضَى كُنْـتُ العَزِيْـزَ لَدَيْــهِمُ وَاليَـوْمَ هَـا أَنَـذَا العَـدُوُّ الأَخْطَـرُ

قَــدْ أَشْــرَبُوْني بِالمَهَانَــةِ عَلْقَــماً وَشَرَابُـهُمْ مِنْ قَبْلُ عِنْدِي الـسُّكَّرُ

فإذا أَرَدْتُـمْ حِفْـظَ مَـاءِ وُجُـوْهِكُمْ لا تُـقْرِضُوا أَحَداً، وَمِنِّـي اسْـتَعْبِروا

فَلَقَــدْ رَأَيْــتُمْ.. لا مُهَــانَ كَـدَائِنٍ هُوَ فِي اللَّظَـى، وَالمُسْتَدِيْنُ يُـسَعِّرُ

وَإِذا أَبَــى إلاّ الــشَّهَامَةَ نُــبْلُكُمْ فَلْتَسْتَعِيْـضُوا بِالتَّـصَدُّقِ تُـؤْجَروا

٢٦ – «لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ لَـمْ تُشَامِخْ»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ لِلسَّادِرِ في ضَلالِه، المُعْرِضِ عَنِ التَّفَكُّرِ في حَالِه، ثُمَّ نَشَأَتْ لَهُ نِعْمَـةٌ حَدِيْثَـة، فلَقِسَتْ نَفْسُهُ الـخَبِيْثَة، ورَأَى الكِبْرَ عَلَى البَرِيَّة، ولَـمْ تَكُـنْ لَـهُ مِـنْ قَبْـلُ أَهَمِيَّـة، والتَّـشَامُخُ تَـصَنُّعُ الـشُّمُوْخ، والتَّـبَاهي بِرَأْسٍ مَنْفُوْخ.

وأَصْلُ المَثَلِ أنَّ رَجُلاً كَانَ لهُ جارٌ قَدِيْم، وبَيْـنَهُمَا مِـنَ الـوِدَادِ قَـدْرٌ عَظِيْم، فكَانَا إذا اجْتَمَعَا يَتَصَافَعَان، وبِكُلِّ فُنُوْنِ المُـزَاحِ يَأْتِيَـان، ولَــمْ يَكُنْ في قَلْبَـيْهِمَا إلاّ الإخَاء، وكَانَا مَـضْرِبَ المَثَـلِ في الوَفَـاء، فـشَاءَ ذُو النِّعَمِ العَمِيْمَة، أنْ يُوَاصِلَ الـجَارُ تَعْلِيْمَـه، ومَـعَ أنَّـهُ كـانَ مَــحْدُوْدَ الفَهْمِ والاسْتِيْعَاب، وبَيْنَهُ وبَيْنَ النُّـبُوْغِ أَبْوَابٌ وحُجَّاب، إلاّ أنَّـهُ تَـابَعَ في العِلْمِ مَسْرَاه، حَتَّى حَصَلَ عَلَى الدُّكْتُوْرَاه، ففَرِحَ لهُ نَدِيْمُـهُ وبَـارَك، ودَعَا لهُ اللهَ تَــبَارَك، ولَكِـنَّ الــجَارَ ذَا الـدَّال، بَـدَأَ يَزْهُـو ويَــخْتَال،

فرَفَضَ الصَّفْعَ عَلَى قَفَاه، ولَيْتَ أنَّ رَفْضَه كَفَاه، بَلْ لَمْ يَعُدْ يُزَاوِرُ نَدِيْمَه، ولا يَرُدُّ عَلَيْهِ تَسْلِيْمَه.

وحِيْنَ ضَاقَ بالنَّدِيْمِ الحَال، أَقْسَمَ بِذِي العِزَّةِ والجَلال، أنْ يُسْمِعَهُ قَصِيْدَةً عَصْمَاء، تَسْرِي أَصْدَاؤها في الأَنْحاء، فاعْتَرَضَهُ اعْتِرَاضَ المُنْدَفِع، وأَنْشَدَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِع:

لَحَاكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ ضَئِيْلٍ	يَتِيْهُ عَلَى أَحِبَّتِهِ ب)دَالِ)
وَلَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ لَمْ تُشَامِخْ	بِمِنْخَرِكَ القَصِيْرِ ذُرَى الجِبَالِ
فَمَا فِي التِّيْهِ لِلْعُقَلاءِ فَخْرٌ	وَلَكِنْ فِي المَقَالِ وفِي الفَعَالِ
أَتَذْكُرُ إذْ ثِيَابُكَ بَالِيَاتٌ؟	وَأَنْفَكَ إذْ يَسِيْلُ عَلَى السِّبَالِ؟
وَإذْ تَجْرِي تُطَارِدُ كُلَّ هِرٍّ	وَتَمْشِي فِي الطَّرِيْقِ بِلا نِعَالِ؟
وَإذْ تَأْوِي إلى سَطْحِي طَرِيْداً	وَتَقْضِي فِي مُنَادَمَتِي اللَّيَالِي؟
غَدَاةَ قَفَاكَ يَعْكِسُ رَجْعَ صَفْعِي	وَأَنْتَ مِنَ السَّعَادَةِ لا تُبَالِي
فَسُبْحَانَ الذِي أَعْطَاكَ (دَالاً)	وَزَادَكَ رِفْعَةً بَعْدَ اسْتِفَالِ

٢٧ – «مَا تَقَعَّرَ إلاّ حِيْنَمَـا انْقَعَرُوا»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنِ اضْطُـرَّ إلى المُجَـارَاة، وسَـاقَتْهُ إلى مـا لا يَـوَدُّ خُطَـاه، والتَّقَعُّـرُ تَـكَلُّفُ الفَـصَاحَة، واجْتِنَـابُ اللِّـيْنِ والـسَّمَاحَة، والانْقِعَارُ مُنْـتَـهَى التَّقَعُّر، وغَايَةُ التَّخَلُّفِ والتَّقَهْقُر، وانْقَعَــرَ الرَّجُـلُ يَنْقَعِرُ انْقِعَارا، أَيْ تَـرَكَ القَوْمَ مِنْ تَقَعُّرِهِ حَيَارَى، وانْقَعَـرَتِ المَرْأَةُ فهيَ مُنْقَعِرَة، أَيْ خَارَتْ خُوَارَ البَقَرَة، والمُنْقَعِرُوْنَ جِـنْسٌ مِـنَ المُـتَقَعِّرِيْن، أَسَاسُهُمْ في العِـيِّ مَتِـيْن، يَلْهَجُـوْنَ بِغَرِيْـبِ الأَحَادِيْـث، ولَــمْ تَــزَلْ تَأْكُلُهُمُ البَرَاغِيْث.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَاعِراً رَقِيْـقَ اللَّفْـظ، رَمَـاهُ عَـلَى المُنْقَعِـرِيْنَ سُـوْءُ الـحَظّ، وكَانُوا مَعَ انْقِعَارِهِمْ غِلاظَ الطَّبْـع، يُعَـامِلُوْنَ النَّـاسَ بِـالزَّجْرِ والرَّدْع، كَثِيْرِي الارْتِيَابِ في المَقَاصِد، وسِـوَاهُمْ مِـنَ العَـالَمِيْنَ فَاسِـد، يُؤْثِرُوْنَ الرَّثَاثَةَ والانْطِوَاء، وعَلَيْهِمْ مِنَ التَّجَهُّمِ سِيْـمَاء، فرَغِبَ الشَّاعِرُ

أَنْ يُلاطِفَهُمْ بِالشِّعْر، ويُـرَقِّقَ طِبَاعَهُمْ بِمَا يُلِيْنُ الصَّخْر، فأَنْشَدَهُمْ فُنُوْنَ الأَعَاجِيْـب، مِـنْ وَعْـظٍ ومَـدِيْحٍ ونَـسِيْب، وحِـيْنَ كَـانَ مُـسْتَغْرِقاً في الإنْشَاد، كَانُوا يَرْمُقُوْنَهُ بِالنَّظَرِ الـحَادّ، ولَـمَّا فَـرَغَ مِـنْ تِلْـكَ المَوَاجِـد، انْـبَـرَوا عَلَيْهِ بِقَلْبِ رَجُلٍ وَاحِد، فأَرْجَفُوا في ذَمِّهِ وأَطَالُوا، وكَـانَ مِـنْ بَعْضِ ما قَالُوا:

لَقَـدْ تَـزَبَّـبْتَ يَـا حِـصْرِم، وَخُـضْتَ العُبَـابَ الـخِـضْرِم، وَاشْمَخْـرَرْتَ بِمِعْطَسٍ أَفْطَس، وَمِثْلُكَ بَعْدُ مَـا اقْعَنْـسَـس، وَتَـزْعُمُ أَنَّكَ الـجَحْجَاحُ القُدْمُوْس، وَمَـا جَـزَاؤكَ إلا النُّـقَاخُ بِالعَـسَطُوْس، تَـتَـكَأْكَأُ عَلَى الشِّعْرِ الوَاهِن، وَتُـثِـيْـرُ اخْرِنْطَامَنَا بِـالمَلاحِن، وَتُنَـاطِسُ في الوَعْظِ الزَّاجِر، وَأَنْتَ هِلَّوْفٌ فَاجِر، وَتُـسَامِقُ بِالتَّمْـدَاحِ الكَـاذِب، بَكَتْ عَلَيْكَ النَّوَادِب، وَتُطَرْبِلُ شَرَاسِيْفَكَ بِالمُجُوْن، وَتَسْحَنْفِرُ فِيْـهِ يَـا مَأْفُوْن، فَيَا لَكَ مِنْ عَصَبْـصَبٍ مُنْـدَمِك، لا وَدَعَ اللهُ غَـارِزاً في فَمِـك،

هَلاَّ أَطْسَأْتَنَا بِشِعْرٍ كَشِعْرِ أَبِي عِجَانَة، أَوْ كَشِعْرِ ابْنِ خِرِنْبَاعَ مُـسْحَوْحِقِ المَكَانَة.[1]

(١) تَفْسِيْرُ الفِقْرَة:

لَقَدْ جَعَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ زَبِيْباً نَاضِجاً وأَنْتَ لَـمْ تَنْضُجْ بَعْد، وسَبَحْتَ في بَحْرٍ عَمِيْق، وبَاهَيْتَ بِـأَنْفٍ قَصِيْر، ومِثْلُكَ بَعْدُ ما اشْتَدَّ عُوْدُه، وتَـزْعُمُ أَنَّكَ سَيِّدٌ نَبِيْـلٌ وَضَـخْم، ومَـا جَـزَاؤكَ إلاّ الـضَّرْبُ عَـلَى رَأْسِكَ بِالعَصَا، تَسْتَنِدُ عَلَى الشِّعْرِ الضَّعِيْف، وتُثِيْرُ غَضَبَنا بِأَخْطَائكَ ولَـحْنِك، وتَـجْعَلُ مِـنْ نَفْـسِكَ طَبِيْباً يُدَاوِي بِالوَعْظِ الرَّادِع، وأَنْتَ كَذَّابٌ فَاجِر، وتَتَعَالَى بِالمَـدِيْحِ الكَـاذِب، قَامَـتْ عَلَيْـكَ النَّـوَائح، وتَـمْلأُ جَوَانِحَكَ بِالفِسْق، وتَـتَمَـادَى فِيْهِ يا مُـخْتَلَّ العَقْل، فيَا لَكَ مِنْ شَدِيْدِ الـبَلاءِ سَرِيْـعِ الـخَطْوِ فِيْه، لا تَـرَكَ اللهُ ضِرْساً في فَمِك، هَلاّ أَدْسَمْتَنا وأَمْتَعْتَنا بِشِعْرٍ كَشِعْرِ أَبِي عِجَانَة، أَوْ كَشِعْرِ ابْنِ خِرِنْبَـاعَ بَعِيْدِ المَكَانَة.

قَالَ الرَّاوِي: وأَبُو عِجَانَةَ شَاعِرٌ يَعْجِنُ الشِّعْرَ عَجْنا، فَلا يُدْرَى أَهوَ شِـعْرٌ أَمْ نَظْـمٌ أَمْ رُقْيَـةُ عَقْـرَب، واسْمُهُ: طَفْحَلَةُ بْنُ قَوْحَلَة، أَمَّا ابْنُ خِرِنْبَاعَ فَهـوَ مِـنْ شُعَـرَاءِ الجِـنِّ الـذِيْنَ أَدْرَكُـوا سُـلَيْمَانَ –عَلَيْـهِ السَّلامُ– وعَصَوْه، واسْمُهُ قِرْبَاعُ بْنُ خِرِنْبَاعَ الدَّجُوْجِي، وقَدْ وُجِدَ لَهُ بَيْتَانِ نُحِتَا عَلَى قُمْقُمٍ عُثِرَ عَلَيْهِ في قَاعِ بَحْر، وهُمَا مِنْ أَوْضَحِ ما نَظَمَ بَعْدَ تَوْبَتِه، ويَقُوْلُ فِيْهِمَا:

عَـصَيْتُ سُـلَيْمَانَ النَّبِـيَّ وهَـا أَنَـا ... بِقُمْقُمِــهِ ثَــاوٍ يُـــحِيْطُ بِيَ القَــاعُ

فَـإِنْ تَـسْأَلُوا عَنِّـي اتِّعَاظـاً فَـإِنَّنِي ... أَنَـا ابْـنُ خِرِنْبَـاعَ الـدَّجُوْجِيُّ قِرْبَـاعُ

يُنْظَرُ كِتَاب: «مَنْهَـلُ الأَدِيْـبِ الأَرِيْـب، في الأَغَـالِيْطِ والأَكَاذِيْـب»، لِـمُؤَلِّفه: ابْـنِ سَـلاّلِ الـدَّجَّال، بَتَحْقِيْق: لاثِغِ بْنِ فَارِغ، ص: ٢١٤.

فأَدْرَكَ الشَّاعِرُ أَنَّهُ يَنْفَخُ فِي رَمَاد، ويُـخَاطِبُ جَمَاعَةً مِنْ قَـوْمِ عَـاد، ثُمَّ حَـمَلَهُ الـهُزْءُ بِـهِمْ عَلَى الْمُعَاوَدَة، فهَذَّ عَلَـيْهِمْ مِـنَ الغَـدِ جَلامِـدَه، وأَنْشَدَهُمْ شِعْراً يُـحَيِّـرُ الـجَان، ولا تَصِلُ إلى مَعَانِيْهِ الأَذْهَان، فكَـانُوا يَسْتَـزِيْدُوْنَ إِنْشَادَه، ويَسْأَلُوْنَ لَهُ اللهَ السَّعَادَة، وهوَ أَثْنَاءَ ذَلِـكَ يَــخْلِطُ البُـرَّ بِالشَّعِيْر، وهُمْ يَقُوْلُوْنَ: لِـلَّـهِ دَرُّكَ مِنْ نِحْرِيْر، وكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مـا نَفَثَه، قَوْلُهُ غَفَرَ اللهُ عَبَثَه:

تَـخَامَطَتْ فِي نَخَا المِطْنَـاخِ خَامِطَـةٌ ... وَالـخَامِطُوْنَ عَـلَى مِرْبَاخِهَـا نَخَـرُوا

مِنْ كُلِّ مِطْنِيْحٍ قَفْحٍ أَوْ أَخِـي كَـرَحٍ ... لا يَـسْتَوِي عِنْـدَهُ المِحْـرَاحُ وَالـشَّحَرُ

تَقَرْفَطَـتْ فِي طُقَـاهُمْ كُـلُّ قَارِطَـةٍ ... يَكَـادُ مِـنْ طُرْقَطِيْهَـا المَقْـطُ يَنْطَـشِرُ

لا شَيْءَ يَـشْرَخُها إلاَّ إذا انْـشَرَخَتْ ... وَبَـانَ فِي شُرُخَـاتِ الرَّشْـخِ مُنْـشَخِرُ

فَكُلَّـمَا زَمْقَطَـتْ فِي الـزَّامِقِيْنَ بِــهَا ... تَقَرْمَـزُوا فَـتَقَازَى حَوْلَـهَا القَـزَرُ

قَـامُوا عَلَيْهـا شَرَافِيْخـاً مُقَرْشِـفَةً ... وَعِنْـدَمَا قَرْفَـشُوْهَا قَـرْفَشَ القَـشَرُ

هَيْهَاتَ يَـخْتُلُهَا الثَّاخِي عَـلَى ثَخَـنٍ أَوْ أَنْ يُثَاخِـــمَهَا الْمُخْــرَنْثِطُ الـــخَثِرُ

كَمْ صَارَدُوْهَا عَلَى الصَّفْصَاعِ فَانْصَرَدَتْ حَتَّى تَصَرْدَلَ مِنْهَا الـصَّخْوُ وَالفَـصَرُ

فَاسْتَرْضَغَتْ بَعْدَ أَنْ ضَاغَتْ مَرَاضِغُهَا ضَغْبَاءَ وَضْغَاءَ مَضْغُوْباً بِــهَا الغَـضَرُ

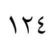
فَـمَا تُغَمْغِـمُ فِي الغَمْـرَاءِ مُغْرَتُـــهَا إِلاَّ وَغَرْشَـــقَ غُرْقُـــوْسٌ وَمُنْـــشَغِرُ

فَيَا لَـهَا طَرْعَـةً هَاطَـتْ عَـلَى هَقَـطٍ وَطَوَّهَتْهَـا طَهَـالِي الــهَطْعِ وَالـــهُطُرُ

فَـدُوْنَكُمْ مِـنْ تَعَاوِيـذِ الرُّقَـى دُرَراً كَـلاَّ، فَـأَرْخَصُ مِـمَّا قُلْتُـهُ الـدُّرَرُ

مِنْ شَاعِرٍ لَـمْ يَـحِدْ عَنْ نَـهْجِ عُـصْبَتِهِ ولَـــمْ يَفُـــهْ أَبَـــداً إِلاَّ بِــمَا أَمَــرُوا

فَـــلاَ تَلُوْمُـــوْهُ يَوْمـــاً فِي تَقَعُّـــرِهِ فَـــمَا تَقَعَّـــرَ إِلاَّ حِيْنَمَـــا انْقَعَـــرُوا



٢٨ – «مُشَاكَاةُ المُعَلِّمَةِ المُعَلِّم»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ في الاثْنَـيْنِ يَتَـشَاكَيَان، وكِلاهُمَـا عَلَيْـهِ مِـنَ العَنَـاءِ عُنْوَان، والمُعَلِّمَةُ والمُعَلِّـمُ في غِنـىً عَـنِ التَّعْرِيْـف، لِـحَمْلِـهِمَا رِسَـالَةَ الدِّيْنِ الـحَنِيْف، ولِعُلُوِّهِمَا في المَـرَاتِب، مَـعَ قِلَّـةِ الرَّاتِـب، فأَسْـأَلُ ذَا الإِحْسَانِ والمِنَّة، أَنْ يَـجْعَلَ جَزَاءهُمَا الـجَنَّة.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ زَوْجَيْنِ يَعْمَلانِ في التَّعْلِيْم، وهُمَا عَلَى هَذِهِ الـحَالِ مُنْذُ قَدِيْم، ومَرَّتْ بِـهِمَا السَّنَوَات، ولَـمْ تُـخَفَّفْ عَنْهُمَا المَـشَقَّات، هُـوَ نِصَابُهُ كَامِلٌ رَغْمَ طُوْلِ الـخِدْمَةِ والـخِبْرَة، وهيَ تَسْلُكُ إلى مَدْرَسَـتِها النَّائيَةِ مَسَالِكَ وَعْرَة.

وكانَ لَـهُمَا جارٌ مُلاصِق، يَسْمَعُ مِـنْهُمَا البَوَائـق، وفي لَيْلَـةٍ شَـدِيْدَةِ الظَّلام، سَمِعَهُمَا يَتَـرَاشَقَانِ الكَلام، هُوَ يَقُوْلُ: أنـا أَكْثَـرُ مِنْـكِ مَـشَقَّة، فلا تَـزِيْدِي عَلَيَّ الشُّقَّة، ودَعِيْنِي الآنَ أَنَام، فعِنْـدِي غَـداً دَوَام، حَيْـثُ

سَأَمُرُّ عَلَى إِدَارَةِ التَّعْلِيْم، وسَأُوَقِّعُ عَلَى مِئةِ تَعْمِيْم، لأَنَّنِي زَجَرْتُ طَالِبـاً لَـمْ يَفْهَم، فسَدَّدَ لي لَكْمَةً في الفَم، وحِيْنَ جَذَبْتُهُ مِنْ شَـعْرِه الـوَفِيْر، إلى حَيْثُ مَكْتَبُ المُدِيْر، رُفِـعَ فيَّ تَقْرِيْـرٌ مُـسْتَعْجَلٌ لِلْـوَزَارَة، فـما لَبِثُـوا أنْ جَاؤوا في خَفَـارَة، وأَخَـذُوا عَـلَيَّ تَعَهُّـدا، أنْ آتِـيَــهُمْ غَـدا، وأَنْ أُعِـدَّ اعْتِذَاراً لِلطَّالِب، وأُقَـبِّلَ كَفَّ الضَّارِب.

وهيَ تَقُوْلُ لَهُ: أَهَذِهِ الشَّكَاة؟! أَنـا كُـلَّ يَـوْمٍ تَـضْرِبُنِي فَــتَاة، ولا شَكَاةَ لي مِنْ ذَلِك، شَكْوَاي مِنْ دَرْبِ المَهَالِك، أَخْرُجُ السَّاعَةَ الرَّابِعَـة، وأَعُـوْدُ لَـيْلاً في الـسَّابِعَة، وأَهِـيْمُ في الطُّـرُقِ المَمْطُوْطَـة، كَـأَنَّنِي بِنْـتُ بَطُّوْطَة، وكَمْ تَعَـرَّضْتُ لِــحَادِث، ومُعَاكَـسَةِ عَابِـث، وكَـمْ فَارَقَـتْ زَمِـيْلاتي الــحَيَاة، وتَنَاثَــرْنَ أَشْـلاءَ في الطُّــرُقَات، وطَالَــمَا نَجَـوْتُ بإِعْجَاز، وهَا أَنا أَمْشِـي عَلَى عُكَّاز.

وبَيْنَمَـا الـجَارُ إِلَيْهِمَا يَسْتَمِع، إِذْ خَفَتَ صَوْتُــهُمَا المُرْتَفِـع، وأَدْرَكَ أنَّ مَـجْلِسَ خِصَامِهِمَا انْفَـضّ، لَــمَّا سَـقَطَ العُكَّــازُ عَـلَى الأَرْض، ثُـمَّ

تَـبَـيَّنَ مِنْهُما هُدُوْءَ النَّفْس، حِيْنَ سَمِعَ مَا يُشْبِهُ الـهَمْس، فانْصَرَفَ عَـمَّا كَانَ فِيْه، وأَنْشَأَ يُنْشِدُ مِلْءَ فِيْه:

حَـــمَدْتُ اللهَ ربِّي إذْ هَـــدَاني غَدَاةَ عَلَى الدِّرَاسَةِ لَـمْ أُصَـمِّمْ

قَنِعْتُ مِنَ (الكَفَـاءةِ) بالأَمَـانِي فَأَشْرَقَ في طَرِيْقِي كُـلُّ مُظْلِـمْ

لَـدَيَّ تِـجَارةٌ أَصْـبَحْتُ فِيْهَـا عَظِيْمَ القَـدْرِ لِلـصَّفَقَاتِ أُبْـرِمْ

فَكَـمْ مِـنْ جَـامِعِيٍّ لَـوْ رَآنِي يُبَـادِئُ بِالـسَّلامِ وَلا أُسَـلِّمْ

ولَـمْ أَتْعَـبْ لأُصْـبِحَ جَامِعِيّاً فَـذَلِكَ لا يُـؤخِّرُ أَوْ يُقَـدِّمْ

فَكَمْ بَعْـدَ التَّخَـرُّجِ مِـنْ مَآسٍ وَإرْهَـاقٍ لِمُعْدِمَـةٍ وَمُعْـدِمْ!

أَفِي التَّعْلِـيْمِ يَـبْـتَـنِـيَانِ جِـيْلاً وَغَيْرُهُمَـا لِـجِيْلِـهِمَا يُـهَدِّمْ؟!

مَعـاً كَـمْ يَلْقَيَـانِ مِـنَ الرَّزَايَـا وَمِنْ عَنَتٍ ثَقِيْلِ الوَطْءِ مُؤْلِـمْ

وأَعْجَبُ مَا سَمِعْتُ مِنَ التَّشَاكِي مُـشَاكَاةُ المُعَلِّمَـةِ المُعَلِّـمْ

هُمَا اثْنَانِ ارْتَـمَتْ بِـهِمَا حُظُوْظٌ وَشُــدَّ عَلَـيْهِمَا قَيْـدٌ وَأُحْكِـمْ

فَإِنْ عَابَ امْـرُؤٌ جَهْلــِي فَـإِنِّي لِـهَذَا الـجَهْلِ مُـحْتَـرِمٌ مُعَظِّمْ

فَيَـا ربِّي لَـكَ الــحَمْدُ ابْتِـدَاءً وَهَا أَنَذَا بِضَافِـي الـحَمْدِ أَخْتِمْ

٢٩ – «وَلا انْسِلاخُ مُبْتَعَث»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيْمَنْ خَلَعَ عَـرَاقَـتَه، ولَبِسَ عَبَاءَةً لَـمْ تَــكُنْ عَبَاءتَـه، ومَشَى فِيْها يُبَاهِي بِاخْتِيَالِه، وتَنَاسَى مِشْيَةَ أَعْمَامِهِ وأَخْوَالِه، والمُبْتَعَثُ مَـنْ فَارَقَ أَهْلَهُ ونَاسَه، واغْتَـرَبَ في البِلادِ لأَجْلِ الدِّرَاسَـة، ثُـمَّ عَـادَ يَــهْجُو مُــجْتَمَعَهُ وبَلَـدَه، ويَـنْفُضُ مِـنْ تَــخَلُّفِهِمَا يَـدَه، وتَعَـالَى عَلَـيْهِمَا بِـرَأْسٍ مُنْـتَفِخ، وذَلِكَ هُوَ المُبْتَعَثُ المُنْسَلِخ، وثَمَّةَ مُبْتَعَثٌ مَعْدِنُهُ ثَمِـيْن، يَعُـوْدُ إلى وَطَنِهِ مَرْفُوْعَ الـجَبِيْن، وقَدْ تَوَسَّـعَتْ في الابْتِعَـاثِ جِهَـات، وأَتَاحَتْـهُ في جَمِيْـعِ التَّخَصُّـصَات، فأَصْـبَحَ نَوْعـاً مِـنَ التَّرْفِيْـه، يَغْتَنِمُـهُ الـحَـصِيْفُ والسَّفِيْه، وأَعْجَبُ ما فِيْهِ مِنْ فَجِيْعَة، الابْتِعَاثُ لِدِرَاسَةِ الشَّرِيْعَة.

وأَصْلُ المَثَـلِ أَنَّ رَجُـلاً جَـدَّ ودَأَب، وتَـخَـصَّصَ في دِرَاسَـةِ لُغَـةِ العَـرَب، ولَـمَّا تَـخَرَّجَ عُيِّنَ في الصَّادِرِ والوَارِد، وبَقِيَ سِنِيْنَ عَـلَى هَـذا الـحَالِ الـجَامِد، وكَانَ لَهُ رَفِيْقُ دِرَاسَةٍ ودَرْب، ابْتَعَثَـهُ أَبُـوْهُ لِلدِّرَاسَـةِ

فِي الغَرْب، وعَادَ يَـحْمِلُ شَـهَادَاتِه، فِي التَّخَـصُّصِ ذَاتِـه، فعَـزَّاهُ رَاثِيـاً مَـــجْهُوْدَهُ الـسَّالِف، وبَكَـى عَـلَى مُـسْتَقْبَلِهِ فِي الوَظَـائف، إذْ كَيْـفَ سَتَعْتَرِفُ الـجِهَاتُ بِالقَادِمِ، وقَدْ تَعَلَّمَ لُغَةَ العَـرَبِ لَدَى الأَعَـاجِمِ؟!، فهَزِئَ القَادِمُ بِمَخَاوِفِ الصَّدِيْق، وعَزَّاهُ عَلَى تَفْكِيْرِهِ الصَّفِيْق، ثُمَّ أَمْعَنَ فِي سُخْرِيَـتِه، وقَالَ لَهُ ضِمْنَ هَذْرَمَتِه:

(بْلِيْز) اسْتَمِعْ لِي (مَايْ دِيْر)، إذا كُنْتَ تَـرَى أَهَمِّـيَةَ التَّغْيِـيْر، واعْذُرْنِي إذا حَدَّثْتُكَ بِالأَجْنَبِي، لِـجَهْلِـي بِـبَعْضِ الكَلامِ العَـرَبِي، فأَنْـتَ (شُـوْرْ) تُدْرِكُ الأَبْعَـاد، وتَعْلَـمُ أَنَّ الوَضْـعَ (بَـادْ)، ومُـشْكِلَـتُكَ أَنْـتَ وأَمْثَالِـكَ الـسُّذَّج، أَنَّكُـمْ تَنْطَلِقُـوْنَ مِـنْ مَنْطِـقٍ أَهْـوَج، وتُؤَوِّلُـوْنَ فِي فَـضْلِكُمُ النُّصُوْص، وأَنْتُمْ حَفْنَةُ أَعْرَابٍ لُصُوْص، والمُحْزِنُ أَنَّكَ وأَشْبَاهَكَ كَثْـرَة، وتَقِفُوْنَ فِي دَرْبِ التَّقَدُّمِ عَثْرَة، كَـمَا أَنَّكُـمْ سَـطْحِيُّوْنَ بُؤَسَـاء، وتُفَـضِّلُوْنَ التَّخَلُّـفَ والانْطِـوَاء، أُولَئِـكَ يَـسِيْرُوْنَ لِلأَمَـامِ بِخَطْـوٍ حَثِيْـث، وأَنْـتُمْ تُسَايِرُوْنَ لُغَةَ: أَكَلُوْهُ البَرَاغِيْـث، وهُـمْ يَـضْرِبُوْنَ دَوْلَـةً وأُخْـرَى، وأَنْـتُمْ

زَيْدُكُمْ يَضْرِبُ عَمْرا، وهُمْ وَقَفُوا عَلَى تِقْنِيَةِ الـجِيْنَات، وأَنْتُمْ تَقِفُوْنَ عَلَى أَطْلالِ المُعَلَّقَات، وهُمْ صَعَدُوا بِصَوَارِيْخِهِمُ الأَقْمَار، وأَنْتُمْ تُصَعِّدُوْنَ طَرَائقَ الاسْتِجْمَار، وهُمْ يَـخْتَلِفُوْنَ إلى مَيَادِيْنِ الأَبْحَاث، وأَنْتُمْ تَـخْتَلِفُوْنَ في قَضَايَا المِيْرَاث، والآنَ (آيْ ثِنْكْ) حَانَتْ سَاعَةُ الانْتِفَاض، ونَشْلِ أَمْثَالِكَ المُنْدَثِرِيْنَ مِنَ الأَنْقَاض، وجَاءَ وَقْتُ أَمْثَالِي مِنَ التَّنْوِيْرِيِّيْن، لِيُخْرِجُوْكُمْ مِنَ الضَّلالِ المُبِيْن، فمِنْ فَضْلِكَ (نَاوْ) (جُوْ أَوِيْ)، وابْتَعِدْ عَنِّي وعَنْ (مَايْ وِيْ)، فَلَدَيَّ مَـجْمُوْعَةُ خِيَارَات، مِنْ وَزَارَاتٍ ومُؤَسَّسَات، وكُلُّها تُسَاوِمُنِي بِالرَّاتِبِ الكَبِيْر، لأَقْبَلَ لَدَيْها وَظِيْفَةَ مُدِيْر، واقْبَعْ أَنْتَ في الأَرْشِيْف، وأَرِحْنِي مِنْ هَذْرِكَ السَّخِيْف.[1]

(١) تَرْجَمَةُ ما بَيْنَ الأَقْوَاس:

(بْلِيْزْ/ please): إنْ سَمَحْتَ، (مَايْ دِيْرْ/ my dear): عَزِيْزِي، (شُوْرْ/ sure): بِالتَّأْكِيْد، (بَادْ/ bad): سَيِّء، (آيْ ثِنْكْ/ I think): أَظُنّ، (نَاوْ/ now): الآن، (جُوْ أَوِيْ/ go away): اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي، (مَايْ وِيْ/ my way): طَرِيْقِي.

قَالَ الرَّاوِي: وقَدْ رَطَنَ المُنْسَلِخُ بِكَلامٍ آخَرَ ظَاهِرُهُ العُجْمَة، فسَأَلْتُ عَنْ مَعْنَاهُ أَهْلَ الاخْتِصَاص، فلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ تَرْجَمَة.

وحِيْنَئِـذٍ ضَرَبَ صَـاحِبُنا كَفَّـاً بِكَـفّ، وكَـتَمَ في أَحْـشَائِهِ الأَسَـى والأَسَف، وتَـحَقَّقَ أَنَّ القَـادِمَ غَيَّـرَ المَـشَارِب، وأَنَّ انْتِـمَاءهُ حُلِـقَ مَـعَ الشَّارِب، ثُمَّ دَعَا اللهَ أَنْ يَـحْفَظَ الدِّيْنَ والوَطَن، مِـمَّا يَبُـثُّـهُ أَمْثَـالُ هَـذا القَادِمِ مِنْ عَفَن.

ولَـمَّا فَـرَغَ مِنْ دُعائِهِ السَّالِف، وجَـمَدَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ الوَاكِف، أَقْـسَمَ أَنْ يَنْظِمَ فِيْهِ الدُّرَر، عَـلَى بَحْـرٍ جَدِيْـدٍ مُبْتَـكَر، يَـأْسِرُ بِعُذُوْبَـةِ إِيْقَاعِـهِ الآذَان، ويُصْبِحُ السَّابِـعَ عَشَرَ في الأَوْزَان، وأَنْ يُغْرِقَ المُنْسَلِخَ القَـادِم، في عُبَابِ بَحْرِهِ المُتلاطِم، لِيَكُوْنَ عِبْرَةً لِكُلِّ مُبْتَعَثٍ دَالِه، ولِكُـلِّ أَمْلَـطِ الوَجْهِ مِنْ أَمْثَالِه، مِنْ ذَوِي الفِكْرِ المُهَجَّـنِ المُـتَّـسِخ، ورَأَى أَنْ يُـسَمِّيَهُ البَحْرَ المُنْسَلِخ، وذَلِـكَ لانْـسِلاخِهِ عَـنْ دَوَائـرِ الـخَلِيْل، ولِـمُطَابَقَةِ الاسْمِ لِصِفَةِ ذَلِكَ الدَّخِيْل، وضَبَطَ إِيْقَاعَـهُ العَـذْبَ المُنْسَاب، بِـهَذا الـضَّابِطِ الظَّرِيْـفِ العُجَـاب:، «سَـلَخُوا أَوْزَانَ الـخَلِيْلِ لا فَلَـتُوا، فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُفَاعَلَتُ»، وكَانَ مِـمَّا انْـتَظَمَ بِـهِ الـسِّلْك، قَوْلُـهُ في قَصِيْدَتِهِ تِلْك:

يَـا شَـقَاءَ الأَيَّـامِ حِـيْنَ يَغْنَمُهَـا	خَامِـلٌ لَــمْ يَكُـنْ لِقَـدْرِهِ ثَمَـنُ
مَـنْ رَأَى مِنْـهُ مَـا رَأَيْتُـهُ ذَرَفَـتْ	عَيْنُــهُ دَمْعَهَــا، وَعَــادَهُ الــشَّجَنُ
كَــانَ قَبْــلَ ابْتِعَاثِــهِ أَخَــا تَــرَفٍ	يُفْصِحُ العِيُّ عَنْ حِجَـاهُ وَالـسِّمَنُ
يَسْحَبُ الذَّيْلَ لاهِيـاً وَلا حَـسَبٌ	فَهْــوَ كَالثَّــدْيِ وَارِمــاً وَلا لَــبَنُ
بَعُــدَتْ عَنْــهُ غَايَــةٌ مُيَــسَّرَةٌ	حَــالَ مَــا بَيْنَــهَا وَبَيْنَــهُ الــوَهَنُ
وَرَمَتْــهُ الفِجَــاجُ عَــنْ مَنَاكِبِهَــا	وَاشْتَــكَى نَتْنَـهُ الكَنِيْـفُ وَالعَفَـنُ
فَــاعْجَبُوا مِــمَّنْ هَــذِهِ بَــوَادِرُهُ	حِــيْنَ يُــزْرِي بِإِرْثِــهِ وَيَمْــتَهِنُ!
لَـمْ يُطِقْ تَـحْقِيْقَ الطُّمُوْحِ فِي وَطَـنٍ	هُــوَ لِلــصَّابِرِيْنَ كُلِّهِــمْ وَطَــنُ
فَغَــدَاةَ ارْتَــأَى أَبُــوْهُ خَيْبَتَــهُ	وَتَــهَادَى بِــهِ عَـلَى ابْنِـهِ الــحَزَنُ
سَــاقَهُ –مِــنْ عَنَائـهِ– إِلَى جِهَــةٍ	يَـخْدَعُ النَّاظِرِيْنَ وَجْهُهَا الـحَسَنُ
فَمَـضَتْ أَشْــهُرٌ وَعَــادَ مُلْتَحِفـاً	بِالــشَّهَادَاتِ.. لَيْـتَ أَنَّــهَا كَفَـنُ
مَلَــطَ الوَجْــهَ كُلَّــهُ، وَأَبْرَزَهَــا	سِحْنَةً كَمْ تَـحْلُوْ لِقُبْحِهَا الـسِّحَنُ
شَــاهَ وَجْــهٌ أُزِيْـلَ عَنْـهُ شَــارِبُهُ	فَبَــدَا عَــوْرَةً، وَكُلُّكُــمْ فَطِــنُ

وَامْتَطَـاهُ الأَعَـاجِمُ الأُلَى جَعَلُـوا   مِنْـهُ بَغْـلاً مُرَوَّضـاً لَـهُ رَسَـنُ

أَمَّهُمْ يَدْرُسُ الفَصِيْحَ وَا عَجِبِي!   فَأَتَانَـا مُرَاطِنـاً بِـمَا رَطَنـوا!

وَانْثَـنَى يَـزْدَرِي تُـرَاثَهُ بِفَـمٍ   أُشْـهِدُ اللهَ أَنَّـهُ فَـمٌ نَـتِنُ

هَالَـهُ مَـا رَآهُ مِـنْ زَخَـارِفِهِمْ   وَأَرَاعَتْـهُ بِاخْـضِرَارِهَا الـدِّمَنُ

خَلَبَـتْ لُبَّـهُ القُـشُوْرُ، فَـانْبَهَرَتْ   مُقْلَـةٌ مِنْـهُ، ثُـمَّ أَنْـصَتَتْ أُذُنُ

وَيْلَـهُ عَـادَ يَـوْمَ عَـادَ مُنْـسَلِخاً   لا جُـذُوْرٌ يُنْمَـى لَـهَا وَلا فَـنَنُ

فَالمَـنَايَا وَلا انْـسِلاخُ مُبْتَعَـثٍ   كَـمْ تَـمَنَّى فِـرَاقَ رُوْحِـهِ البَـدَنُ

٣٠ - «يَعِيْبُ النَّاسَ مَوْفُوْرُ العُيُوْب»

وهوَ مَثَلٌ يُقَالُ فِيمَنْ شَتَمَ وآذَى، ورَاحَ يَهْجُو ذَاكَ ويُعَرِّضُ بِهَذا، وهوَ في مُحِيْطَاتِ عُيُوْبِهِ غَارِق، ومَسَاوِئُهُ تَسُدُّ المَغَارِبَ والمَشَارِق، ومَوْفُوْرُ العُيُوْبِ مَنِ امْتَلأَ بِالخَطَايَا، فغَفَلَ عَنْهَا ورَاقَبَ عُيُوْبَ البَرَايَا.

وأَصْلُ المَثَلِ أَنَّ شَابّاً أَحَبَّ الأَدَب، وآتَاهُ اللهُ في الشِّعْرِ والنَّثْرِ ما أَحَبّ، فكَانَ كُلَّمَا نَظَمَ قَصِيْدَة، أَوْ خَصَّ بِمَقَالاتِهِ جَرِيْدَة، لَمْ يُسْمَعْ لَهُ ولَمْ يُقْرَأ، وبِالإعْرَاضِ والتَّثْبِيْطِ يُفْجَأ، وكَانَ عَلَى ثِقَتِهِ بِمَا أَبْدَع، يَسْمَعُ لآخَرِيْنَ طُبُوْلاً تُقْرَع، وحِيْنَ يُفَتِّشُ في بَعْضِهَا عَنْ سَمِيْن، لا يَجِدُ إلاّ جَعْجَعَةً ولا طَحِيْن، وكَانَ أَكْثَرَ ما أَثَارَ حَفِيْظَتَه، وأَعْلَمَهُ قِيْمَةَ أَدَبِهِ وقِيْمَتَه، احْتِفَاءُ النَّاسِ بِالسَّاقِطِ والسَّاقِطَة، مَتَى تَقَيَّآ الرِّوَايَاتِ الهَابِطَة، مَعَ خُلُوِّهَا مِنَ الإبْدَاعِ والإحْكَام، وعَزْفِهَا عَلَى

وَتَرِ الـجِنْسِ والـحَرَام، وزَادَ غَبْنَهُ حِوَارٌ قَرَأَهُ في صَحِيْفَة، مَعَ سَاقِطَةٍ تُسَوِّقُ رِوَايَتَها السَّخِيْفَة، وتَزْعُمُ مِنْ فَرْطِ وَقَاحَتِهَا المُتَنَاهِيَة، أَنَّـها تَدْعُو إلى الأَخْلاقِ السَّامِيَة، وأَنَّها تُجَرِّدُ الوَاقِعَ بِـمَا فِيْه، لِيَسْهُلَ عِلاجُهُ عَلَى مُدَاوِيْه، وأَنَّها بِكِتَابَةِ هَذْيِهَا مُشْفِقَة، وكَمَنْ يُقَدِّمُ لِلْمُجْتَمَعِ صَدَقَة، وهوَ يَعْلَمُ عَنْها أَيَّامَ غَوَايَتِه، مَا تُنَزَّهُ الأَسْمَاعُ عَنْ رِوَايَتِه، فَكَمْ وَدَّ لَوْ أَنْ صَاحَ في وَجْهِهَا: ارْفُقِي، لَكِ الوَيْلُ لا تَهْذِي وَلا تَتَصَدَّقِي.

فلَـمَّا رَأَى صَاحِبُنا ضَيْعَةَ الأَدَب، وانْصِرَافَ النَّاسِ إلى (قِلَّةِ الأَدَب)، رَغِبَ أَنْ يُعِيْدَهُمْ إلى حِيَاضِه، وأَنْ يَجْنِيَهُمْ مِنْ أَزَاهِيْرِ رِيَاضِه، فمَزَجَ مَعَ رَغْبَتِهِ تِلْكَ سُخْطَهُ السَّالِف، وجَمَعَ بَيْنَ السُّخْرِيَةِ والأَدَبِ الـهَادِف، وصَاغَ لَـهُمْ جُمْلَةً مِنَ الأَحَادِيْث، وصَبَّها في قَالَبٍ تُرَاثِيٍّ حَدِيْث، وأَخَذَ مِنَ الـحُسْنَيَيْنِ المَحَاسِن، لِتَسْهُلَ عَلَى الفَصِيْحِ واللاّحِن، واخْتَلَقَ في بِدَايَاتِها الأَمْثَال، وجَنَّحَ في تَفَاصِيْلِها

بِالـخَيَال، وزَخْرَفَ طَيَّاتِـها بِالنَّثْرِ المَسْجُوْع، ووَشَّـى نَـسْجَها بِالـشِّعْرِ المَطْبُوْع، فحِيْناً يَنْظُـرُ إلى الوَاقِعِ ويُـحَاذِيْه، وفي أَحْيَـانٍ أُخْـرَى يُبَـالِغُ فِيْه، والعَارِفُ بِمَقَاصِدِ الأَدَبِ وشُـجُوْنِه، يُـدْرِكُ أَنَّ التَّهْوِيْـلَ أَعْـذَبُ فُنُوْنِه.

وكَـانَ يَأْمُـلُ أَنْ يَـحْظَى عَمَلُـهُ بِـالقَبُوْل، وأَنْ يَـخْلُصَ مِـنْ قَلَـمِ العَاتِبِ والـجَهُوْل، فبَـيَّنَ أَنَّـهُ حِيْنَمَـا اجْتَـرَأ، لَـمْ يُنَـزِّهْ نَفْـسَهُ عَـنِ الـخَطَأ، ومَا هُوَ إلاّ عُضْوٌ فِي جَسَد، وطَالَـمَا وَقَعَ فِيْما انْتَقَد، وعَابَ قَوْماً بِـبَعْضِ مـا فِيْـه، وقَلَّـدَ الـحُطَيْئَةَ فِي قَوَافِيْـه، ولِـذا أَوْدَعَ عَمَلَـهُ هَـذا الإِيْضَاح، والْتَمَسَ مِنْ مُسِيْئِي فَهْمِهِ السَّمَاح، وسَأَلَ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوْبَـه، وأَنْ يُنِيْرَ بِالـهِدَايَةِ دُرُوْبَه، ثُمَّ لَـجَّ فِي الاسْتِغْفَار، وأَنْشَدَ ودَمْعُهُ مِدْرَار:

إِلَـهِي جَلَّ مِنِّي الـخِزْيُ فَـاغْفِرْ لِـلاَءٍ فِي مَـخَازِيْهِ لَعُـوْبِ

دَعَوْتَ المُسْرِفِيْنَ: عِبَـادِيَ ادْعُـوا أُجِبْكُمْ، فَاسْتَجِبْ لِي وَامْحُ حُـوْبِي

فَمَنْ لِي إِنْ سَخِطْتَ سِوَاكَ رَبِّي ... وَقَدْ ضَاقَتْ بِخُطْوَاتِي دُرُوْبِي؟

وَتَدْرِي أَنَّنِي عَاصٍ، وَأَدْرِي ... بِأَنَّكَ أَنْتَ غَفَّارُ الذُّنُوْبِ

وَهَذِي أَدْمُعِي سَحَّتْ رَجَاءً ... وَتُوْشِكُ أَنْ تَكُفَّ مِنَ النُّضُوْبِ

وَوَجْهِي اصْفَرَّ خَشْيَةَ مَا سَيَلْقَى ... وهَا هُوَ سَاهِمٌ بَادِي الشُّحُوْبِ

أُقِرُّ بِأَنَّنِي عَاصٍ، وَعِنْدِي ... مِنَ الزَّلاَّتِ مُخْتَلِفُ الضُّرُوْبِ

وَأَقْبَحُ مَا لَدَيَّ مِنَ الخَطَايَا ... مُبَادَأَتِي عِبَادَكَ بِالحُرُوْبِ

أُهَاجِي ذَاكَ، ثُمَّ أَذُمُّ هَذَا ... وَأَرْمِي غَافِلاً مِنْهُمْ بِطُوْبِي

وَأَبْحَثُ عَنْ عُيُوْبِهِمُ، وَعَيْبِي ... أَحَقُّ بِبَحْثِ مَغْرُوْرٍ كَذُوْبِ

وَمَا مَيَّزْتَنِي عَنْهُمْ، وَلَكِنْ ... يَعِيْبُ النَّاسَ مَوْفُوْرُ العُيُوْبِ

فَيَا مَوْلاَيَ بَلِّغْنِي رَشَادِي ... وَيَا نَفْسِي إِلى مَوْلاَكِ تُوْبِي

قَفْلَة :

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ،

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ».

الفهرس :

فائت الأمثال :

ناسج الأمثال :

– فواز بن عبدالعزيز بن محمد اللعبون.

– من مواليد مدينة الرياض: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– تخرج في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض عام: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

– عُيِّن معيداً في الكلية نفسها في قسم الأدب عام: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، فمحاضراً عام: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، فأستاذاً مساعداً عام: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– حاصل على الماجستير من قسم الأدب بعنوان: «شعر عبدالله شرف: دراسة موضوعية وفنية» عام: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

– حاصل على الدكتوراه من القسم نفسه بعنوان: «شعر المرأة السعودية: دراسة في الرؤية والبنية» عام: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– من الأعمال النقدية والإبداعية:

– فائت الأمثال: مقاربة أدبية ساخرة.

– شعر المرأة السعودية: دراسة في الرؤية والبنية.

– عملاق صناديد: دراسة نقدية (تحت الطبع).

– احتدام نسقين: دراسة نقدية موازِنة (تحت الطبع).

– ديوانان شعريان (تحت الطبع).

– من النشاطات الأدبية:

– المشاركة في عدد من الأمسيات الشعرية الداخلية والخارجية، وتمثيل المملكة العربية السعودية في بعض الفعاليات الشعرية والثقافية.

– الإعداد والتقديم لجملة من البرامج الأدبية والثقافية في وسائل الإعلام المختلفة.

– الإسهام المتنوع مع الصحافة والإذاعة والفضائيات محليّاً وعربيّا.

جامعة الإمام – كلية اللغة العربية في الرياض – قسم الأدب

ص.ب. ٥٧٦٢ الرياض ١١٤٣٢

البريد الشبكي: alrsad@hotmail.com

ومضة

يقدم هذا المجموع ثلاثين مثلاً مختلَقاً بأسلوب فكاهي ساخر، وقد جمع فيه المؤلف بين أصالة التراث، وسلاسة المعاصرة، وزاوج فيه بين النثر والشعر، فجاء مجموع الأمثال وقد أخذ من فنون الأجناس الأدبية ما يناسب شداة الأدب بمختلف مستوياتهم؛ حيث أخذ من القصة الخبرَ الواضح، ومن الشعر الإمتاعَ السهل، ومن المقالة التوجيهَ اللاذع، وضَمَّنَ ذلك كله الإيحاء القريب، والومض الخافت.

ولذا ففي هذا المجموع عدة وافية لمن أراد الورود على مناهل أدبية عذبة، ورغب التفيؤ في ظلال لغوية دانية.. يبترد في رياضها المتخصص، ويفيد منها –مع الابتراد– سواه.

الناشر


((الفرغ من ذات عمود))
هو مثل يقال فيمن تمكّن به الفراغ، وخلا من هدف وزاغ،
والعمود زاوية في جريدة، تحتوي على الرأي وعقيدة، وقد تكالبت عليه النساء،
الخفيفة منهن والبلهاء،
وأصل المثل أن رجلاً كتب عليه التخصص، بأن يلزم على كتاباتهن التلصص،
فأشار عليه من أشارة سخيفة، بأن يشترك في أكثر من صحيفة،
فاضطر إلى تحليل فن الاشتراك، بعد أن وقع في الأشراك،
فراح يقرأ كل عمود، ويضفي لكل نقد عود.